# دلائل إعجاز القرآن
# في
# آيات التحدي بالقرآن

للدكتور/ محمود أحمد محمود مخلص

الأستاذ المساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن بالكلية





بسم الله الرحمن الرحيم

# المقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن معجزة باقية مدى الزمان، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين، وخير الخلق أجمعين، المؤيد بالمعجزات والقرآن العظيم، المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

**وبعد...**

فإن الله تعالى أرسل رسله مبشرين ومنذرين، وأيدهم بالمعجزات التي تدل على صدقهم في نبوتهم ورسالتهم، وقد شاء الله تعالى أن يختم الرسالات السماوية ببعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وأن يؤيده بالمعجزات الكثيرة المتنوعة، وكان من أهم ما أيده به من المعجزات معجزته العظمى (القرآن الكريم)، فقد جعله الله معجزة بيانية عقلية روحية تتناسب مع نضج هذه الأمة الفكري وسموها الروحي، وتقدم العالم مدى الزمان.

وقد ظهر إعجاز القرآن الكريم منذ بدأ نزوله على نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – فتجسد في انبهار العرب بما سمعوه من آيات القرآن، ثم بعجزهم عن الإتيان بمثله، بل بمثل سورة منه ولو كانت قصيرة، مع استمرار التحدي والتقريع لهم، وهم أرباب الفصاحة وفرسان البيان، ذوو الحمية العربية والأنفة الأبية. يقول الرافعي: القرآن كتاب كل عصر، وله في كل دهر دليل من الدهر على الإعجاز.

وبحق فقضية إعجاز القرآن على الرغم من تعدد زواياها وثراء جوانبها، فإن البحث فيها شيق وجذاب، ولن يقضي العالم منها نهمه، وإن أنفق عمره سابحا في بحارها؛ لأنها تتعلق بمعرفة سر الجلال والروعة في كلام الله تعالى.

فمن إعجاز القرآن أن يظل مطروحًا على الأجيال تتوارد عليه جيلا بعد جيل ثم يبقى أبدا رحب المدى، سخي الموارد، كلما حسب جيل أنه بلغ منه الغاية امتد الأفق بعيدا وراء كل مطمح عاليا، يفوق طاقة الدارسين، فاتسع مجال البحث فيه، واستمر الدارسون في كشف وجوه الإعجاز ومناحيه حتى هذا العصر، ولم يصلوا إلي منتهى يقفون عنده- ولن يصلوا - لأن القرآن الكريم لا تنتهي عجائبه، ولا تنقضي غرائبه، وسيظل في جماله وجلاله وكماله، كما نزل به الروح الأمين على قلب النبي الكريم، فمهما بذل العلماء من جهد في تخريج لطائف أسلوبه ودقائق تعبيره ودقة تصويره، فلن يبلغوا من ذلك كله إلا كما يبلغ العصفور من البحر.

وإذا كانت قضية البحث في إعجاز القرآن بهذه الأهمية، فإن ما أقوم به في هذا البحث (دلائل إعجاز القرآن في آيات التحدي بالقرآن) إنما هو خطوة على الدرب أنعم من خلاله بالتعايش في رحاب هذه الآيات التي تعد نوعًا من أنواع إعجاز القرآن، ينبغي على المسلم أن يعي مغزاه، ويفقه مرماه، ويعمل بأوامره، وينأى عن نواهيه حتى يسعد في دنياه وأخراه.

**الهدف من دراسة هذا الموضوع ما يلي:**

**أولًا** - الإسهام في خدمة القرآن الكريم، والسعي لإظهار شيء من فصاحته وبلاغته، وذلك من خلال آيات التحدي بالقرآن الكريم، فهو موضوع شغل العلماء قديما وحديثا، لما له من أهمية ترتبط بإثبات إعجاز القرآن الكريم.

**ثانيًا** - إبراز جوانب الإعجاز المختلفة في آيات التحدي بما يظهر غلبة بيان القرآن الكريم وتفوقه على كل بيان.

**ثالثًا** - إثبات خلو القرآن من أي زيادة، بل كل حرف فيه إنما جاء لغرض يتطلبه المعنى المراد وموجب يوجبه السباق واللحاق.

وأما عن سبب اختياري لهذه الآيات بالذات فهو: أنها قد تكفلت بمهمة الدفاع عن القرآن والرسول ﷺ؛ إذ إنها فندت شبه المشركين، وأبطلت افتراءاتهم، ونفت ارتيابهم في القرآن، كما أن طبيعة الفترة التي نزلت فيها آيات التحدي من أشد الفترات على الدعوة الإسلامية، فقد عرفت بقسوة المشركين وعنفهم في مقاومة الدعوة الإسلامية وإنكارها، فجاءت هذه الآيات لتحقق هذه الدعوة وتؤيدها، بأسلوب التحدي والتعجيز والغلبة والتفوق والتقريع، سجل القرآن كل ذلك في حديث موجز في عدة سور، فاعتمدت على ربي وأمسكت بقلمي، وأدليت بدلوي في هذه الآيات المباركات، وأبديت بعض الدلائل الإعجازية في هذه الآيات الجليلة، فشرعت في تتبعها أتدبر معانيها، وأتأمل نظمها في كل مرحلة من مراحلها، وأنعم النظر في أسرارها البيانية، وأتدبر تلوينها البديع في التعبير عن المعني الواحد بأنماط مختلفة، باحثًا عن أسرار هذا التنوع الأسلوبي المعجز.

هـذا.. وقد قسمت بحثي هذا إلى مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة، أما المقدمة فبينت فيها أهمية البحث، وأسباب اختياري للموضوع، وخطة البحث ومنهجه.

**وأما التمهيد** - فيتضمن ثبوت إعجاز القرآن الكريم.

**وأما المبحث الأول** - فعنوانه (مقدمات في التحدي)، ويتضمن ستة مطالب:

- **المطلب الأول:** حقيقة التحدي وإثبات وقوعه.
- **المطلب الثاني:** أنواع التحدي وزمانه.
- **المطلب الثالث:** الحاجة إلى التحدي وحكمته.
- **المطلب الرابع:** القدر المعجز الذى وقع به التحدي.
- **المطلب الخامس:** وجه الإعجاز الذى وقع به التحدي.
- **المطلب السادس:** مراتب التحدي في القرآن الكريم.

**وأما المبحث الثاني** - فعنوانه (دلائل الإعجاز في آيات التحدي)، ويشتمل على ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول:** تفسير آيات التحدي في القرآن الكريم.
- **المطلب الثاني:** منهج القرآن في التحدي بالقرآن.
- **المطلب الثالث:** من أسرار التشابه والتنوع في آيات التحدي.

**الخاتمة** - وفيها أهم نتائج البحث، ثم أهم المراجع، وفهرس الموضوعات.

**وأما عن منهجي في هذا البحث فقد سرت فيه علي النحو التالي:**

**أولًا** - صدرت البحث بتمهيد موجز عرضت فيه لبعض أدلة إثبات الإعجاز القرآني، ومنها التحدي بالقرآن، والعجز عن الإتيان بمثله، ونكوص المشركين عن معارضته.

**ثانيًا** - قفيت على ذلك بمقدمات، تعد إضاءات كاشفة لآيات التحدي، ألقيت الضوء فيها على حقيقة التحدي وإثبات وقوعه، وأنواعه وزمانه، مبرزًا القدر المعجز الذى وقع به التحدي، ووجه التحدي، مركزا على الجانب البلاغي المعجز لألفاظ القرآن ومعانيه، مختتما بعرض مراتب التحدي بالقرآن الكريم.

**ثالثًا** - عقدت المبحث الثاني للدراسة التحليلية للآيات، مبينا سبب نزولها ومناسبتها لما قبلها، وذلك في كل مرحلة من مراحل التحدي، مبرزًا بعض أسرارها البلاغية مستشهدا بأقوال المفسرين، مرجحا بين أقوالهم ما أراه مرجحا، مقتبسا من أقوال العلماء المجتهدين ما أراه صحيحا ومفيدا، فاتخذت ما قاله السابقون نبراسا، وكشفت الغطاء عما رأوا فيه التباسا.

رابعًا - أتبعت ذلك بمطلب آخر عرضت فيه المنهج الأمثل الذي رسمه القرآن في عرض التحدي بالقرآن، وذلك من خلال استخلاص بعض الدلالات من آيات التحدي.

خامسًا - جليت بعضا من أسرار التشابه والتنوع في نظم الآيات، وذلك من خلال المقارنة المتصلة بين نظمها مجتمعة، فذكرت أقوال العلماء والمفسرين، وما أدى إليه اجتهاد الباحث في التوفيق بين الآيات المتشابهة، مصدرًا ذلك بجملة: ويظهر لي، أو وأرى، أو قلت أو نحو ذلك، أو بيان السر في الزيادة أو النقصان، وما الحكمة في تخصيص الآية بذلك دون الأخرى؟ ليجري ذلك مجرى علامات تزيل إشكالها، وتمتاز به عن أشكالها.

ولا أدعي أني بلغت في بحثي هذا درجة الكمال، بيد أني توخيته وسعيت إليه مستمدًا من الله العون والسداد، فمنه التوفيق وعليه التوكل.

ونحن إذ نقدم هذا الجهد المتواضع، راجين ثوابه من المولى الكريم، نضرع إليه جل شأنه بدعاء إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.
[البقرة: ١٢٧]

**«وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين»**



# تمهيد

## ثبوت إعجاز القرآن الكريم

لقد اعتنى العلماء قديمًا وحديثًا بمعرفة إعجاز القرآن الكريم، ولا خلاف بين العقلاء أن كتاب الله تعالى معجز، لم يقدر أحد على معارضته بعد تحديهم بذلك.

قال تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٦]، فلولا أن سماعه حجة عليه لم يقف أمره على سماعه، ولا يكون إلا وهو معجزة[١].

وقال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥٠ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ ﴾ [العنكبوت: ٥٠-٥١].

فأخبر أن الكتاب آية من آياته، وعلم من أعلامه، وأن ذلك يكفي في الدلالة، ويقوم مقام معجزات غيره وآيات سواه من الأنبياء - صلوات الله عليهم -[٢].

ولقد جاء رسولنا محمد ﷺ بهذا الكتاب المنير الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فتحدى به أفصح الفصحاء ومصاقع الخطباء، تحداهم بأن يأتوا بمثله، وأمهلهم طوال السنين، فلم يقدروا، فدل على عجزهم وقصورهم، فهو معجزة عامة عمّت الثقلين، وبقيت بقاء العصرين، ولزوم الحجة بها في أول وقت ورودها إلى يوم القيامة على حد واحد[٣].

---

(١) «البرهان في علوم القرآن» للزركشي: (٢/ ١, ١)، دار الفكر، ط. ١ (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، و«الإتقان في علوم القرآن» للسيوطي: (٤/ ٤)، دار التراث- القاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط. ٢ (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م).

(٢) «إعجاز القرآن» للباقلاني: [ص ٣٧]، دار الفكر، ط.١ (١٩٨٦م).

(٣) ينظر: «البرهان» (٢/ ٢, ١)، «إعجاز القرآن» للباقلاني: [ص ٣١].

وإنما أوتي محمد ﷺ معجزة باقية؛ لأن رسالته خالدة دائمة بدوام الدهر إلى يوم القيامة، فالقرآن الكريم قائم في الأمة الخاتمة مقام الرسول ولهذا يعد التحدي الركن الأساس في المعجزة؛ لأنه يظهر عجز الخصم، ويثبت صفة الإعجاز للأمر المتحدّى به وصدق المتحدِي، ولقد أبدع العلامة الأديب الجاحظ حين قال: «بعث الله محمدًا أكثر ما كانت العرب شاعرًا وخطيبًا، وأحكم ما كانت لغة، وأشد ما كانت عدّة، فدعا أقصاها وأدناها إلى توحيد الله وتصديق رسالته، فدعاهم بالحجة، فلما قطع العذر وأزال الشبهة، وصار الذي يمنعهم من الإقرار: الهوى والحميّة دون الجهل والحيرة حملهم على حظهم بالسيف، فنصب لهم الحرب ونصبوا له، وقتل من عليتهم وأعلامهم وأعمامهم وبني أعمامهم، وهو في ذلك يحتج بالقرآن، ويدعوهم صباحا ومساءً إلى أن يعارضوه - إن كان كاذبا - بسورة واحدة أو بآيات يسيرة، فكلما ازداد تحديا لهم بها، وتقريعا لعجزهم عنها، تكشف عن نقصهم ما كان مستورًا، وظهر منه ما كان خفيا،فحين لم يجدوا حيلة ولا حجة قالوا له: أنت تعرف من أخبار الأمم ما لا نعرف، فلذلك يمكنك ما لا يمكننا، قال: فهاتوا مفتريات، فلم يرم ذلك خطيب، ولا طمع فيه شاعر... ولو تكلّفه (أي: لو استطاعه) لظهر ذلك، ولو ظهر لوجد من يستجيده ويحامي عليه ويكابر فيه، ويزعم أنه قد عارض وقابل وناقض.فدل ذلك العاقل على عجز القوم مع كثرة كلامهم واستقامة لغتهم»[1].

ولذلك كان من مقتضى بلاغة العرب المعروفة - مع التحدي - أن ينهضوا لمعارضته ومجاراته بفصول من كلامهم البليغ، ليقطعوا بذلك خطره عنهم، وليعلنوا بذلك لمن قد يتحدث بهذا الذي يأتيهم به من القرآن، أنهم قد جاءوا بمثله وخير منه.

---

(١) «حجج النبوة» للجاحظ: [ص ١٤٤] ضمن رسائل الجاحظ، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: ٢، ١... وينظر: «الإتقان» للسيوطي: (٢/ ٣٢٧)، «إعجاز القرآن» للرافعي: [ص ١٧٥].

وهكذا أنبأنا التاريخ بهذا العجز في عصر القرآن، ولكن لم تُطْو صفحة التحدي في العصر الذي بعده وأهله بعد على سلائقهم العربية، وفيهم من يود أنْ يأتي على هذا الدين من أساسه، وما أيسره عليه لو دخل إليه من باب القرآن بقبول التحدي، ولكن التاريخ لم يسجل لأحد فيه قدرة على ذلك، بل حِيل بينهم وبين ما يشتهون كما فُعِلَ بأشياعهم من قبل[1].

وهذا يدل دلالة بينة على أنه كلام الله لا ريب فيه، ولا زالت أصداء هذا التحدّي مستمرة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وستبقى أصداؤه في أذن الزمن على مر العصور ليبرهن على خلود الرسالة وصدق صاحبها، فالإعجاز القرآني إذا حقيقة ثابتة ثبوت السماء، لاريب فيه للعرب في كل عصر وغير العرب في كل جيل.

مما سبق يستبين لنا إعجاز القرآن بأدلة قاطعة تفيد اليقين، وهي التحدي بالقرآن الكريم، وعجز العالم عن الإتيان بمثله، ونكوصهم عن معارضته.

وبعد، فهذا تمهيد أردت من خلاله إعطاء القارئ نبذة مختصرة عن أدلة إعجاز القرآن الكريم بإيجاز، ومنه ننتقل إلى المبحث الأول وعنوانه (مقدمات في التحدي) حيث نلقى الضوء فيه على حقيقة التحدي، وإثبات وقوعه، وأنواعه وزمانه، والحاجة إليه وحكمته، والقدر المعجز الذي وقع به التحدي، ووجه التحدي، ثم نختم هذا المبحث ببيان مراتبه في القرآن الكريم فنقول وبالله التوفيق.

(١) «دراسات حول القرآن الكريم». د/ إسماعيل الطحان: [ص ٩٢]، مكتبة الفلاح - الكويت، ط.١، (١٩٨٨م).



## المبحث الأول

## مقدمات في التحدي

### المطلب الأول: حقيقة التحدي وإثبات وقوعه

**التحدي لغة:** اسم مشتق من حدا، وهو أصل واحد يدل على السوق، يقال: حدا إبله أي: زجرها وغنى لها، ويقال: حدوته على كذا؛ إذا سقته وبعثته عليه، ويقال لريح الشمال: حدواء؛ لأنها تحدو السحاب وتسوقه[1]، كما يأتي التحدي بمعنى: المباراة والمبارزة.

**جاء في (لسان العرب):** «تحديت فلانًا إذا بارَيْتَه في فعل ونازَعْتَه الغلبة»،... وهي الحديا بمعنى المبارزة والغلبة، يقال: أنا حُدَيّاكَ أي معارضك، وهذا حُدَيّا هذا أي ندّه ونظيره، وأنا حُديّاك بهذا الأمر هذا حُدَيّا هذا أي ندّه ونظيره، وأنا حُديّاك بهذا الأمر أي: مباريك الوحيد فأبرز لي وحدك، والتحدي: المبادرة في فعل أو قول، ومنازعة الغلبة فيه[2]، وجاء في معجم اللغة العربية المعاصرة: التحدي: تعبير يقصد به إنذار شخص بفعل شيء مع التلميح إلى عدم قدرته عليه[3].

**وخلاصة القول في معنى هذه الكلمة..** أنها تدور حول معان منها: الغلبة والمعارضة والمنازعة والظهور، والسبق إلى الشيء، وكلها معان متقاربة مفادها واحد.

---

(١) «معجم مقاييس اللغة» لابن فارس: (٢/ ٣٥)، دار الجيل – بيروت.

(٢) «لسان العرب» لابن منظور، مادة: (حدا)، (١٤/ ١٦٨) دار صادر- بيروت، ط.١، (١٩٩٩م).

(٣) «معجم اللغة العربية المعاصرة» لأحمد مختار عبد الحميد عمر: (١/ ٤٦١)، عالم الكتب، ط. الأولى (٢٠٠٨م).

**التحدي اصطلاحًا:** يتصل التحدي اصطلاحًا اتصالًا وثيقًا بالمعنى اللغوي، فهو يعني: طلب الإتيان بالمثل على سبيل المنازعة والغلبة والمعارضة، ويتحدد المثل تبعا لما يتحدى به، فعرفه الأستاذ محمود شاكر بقوله: أن تفعل أنت فعلا، ثم تطالب خصمك بأن يبذل غاية جهده في معارضته والإتيان بمثله، وأنت على ثقة من أنه غير قادر على مثل هذا الفعل، طالبا بذلك إظهار عجزه وضعفه عن غلبتك أو الظهور عليك، أو هو الذى يقصد أن يعارض بفعله خصما طالبا بذلك إظهار قدرته وتفوقه(١) والتحدي بالقرآن: طلب الإتيان بمثله(٢)، وعرف الجرجاني التحدي بالقرآن بأنه: مطالبة العرب بأن يأتوا بكلام على وصف في القرآن(٣).

وفي التحدي معنى التعجيز؛ لأن كلمة التحدي مشتقة من المنع، فهو إخبار بأنهم ممنوعون عن الإتيان بمثله، ولذلك كان في التحدي بمثل القرآن تحريض لكل سامع لا يؤمن به على أن يسارع إلى معارضته والإتيان بمثله، لدفع العجز عن النفس الذي تأباه طبيعة الإنسان، ولإبطال ما يدعيه المتحدي من إثبات النبوة لنفسه؛ لإسقاطه وتكذيبه، ومع ذلك لم يستطع أحدٌ أن يأتي بمثله، فثبت أنه معجز ليس بكلام بشر، وإنما هو كلام الله سبحانه(٤).

**إثبات وقوع التحدي:**

لقد تحدى الرسول ﷺ العرب بالقرآن، فصار العلم بالتحدي ضروريا كالعلم بادعائه النبوة في الاشتهار، ولم ينقل إنكار التحدي عن أحد من المتقدمين المخالفين

---

(١) «مداخل إعجاز القرآن» للأستاذ/ محمود شاكر، [ص ٢٢]، نشر: مطبعة المدني المؤسسة السعودية – مصر.

(٢) «مقدمة ابن خلدون»: [ص ٣ , ٥]، دار القلم، ط. ٥، (١٩٨٤م).

(٣) «دلائل الإعجاز» للجرجاني: [ص ٢٨٩]، مطبعة المدني – القاهرة، الثالثة (١٩٩٢م).

(٤) «إعجاز القرآن الكريم»: د/ محمد صادق درويش: [ص ٦٣]، دار الإصلاح – دمشق، ط. الأولى (٢٠٠٩م).

للإسلام، إلا أنه ورد عن بعض الملحدين واليهود قولهم: إنه لم يحصل العلم بأن النبي ﷺ تحدى به، وهذا قول لا يلتفت إليه، فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه كان يقرأ القرآن على المسلم والكافر ولم يكتمه على أحد قريبًا كان أو بعيدًا[١].

**ويمكن أن يستدل على وقوع التحدي بأدلة وبراهين منها:**

**أولًا** - ثبت التحدي بالقرآن، وأن المشركين لم يأتوا بمثله بالنقل المتواتر الذى يقع به العلم الضروري، فلا يمكن جحود واحد من هذين الأمرين[٢].

**ثانيًا** - لقد قام البرهان على أن القرآن معجز، بتعجيز رسول الله ﷺ الناس أن يأتوا بمثله، وتبكيتهم بذلك في محافلهم، وهذا أمر لا ينكره أحد مؤمن ولا كافر، وأجمع المسلمون على ذلك[٣].

**ثالثًا** - وقع التحدي في أنه ﷺ كان يدعي في القرآن أنه من جهة الله، وأنه خصه به، وأنه كان ينتظر نزوله حالا بعد حال، وكان يتلو عليهم الآيات الدالة أنها من عنده عَزَّوَجَلَّ في الأمر والنهى وغير ذلك.وهذا القدر كاف في معنى التحدي. فكيف يصح أن لا يكون متحديا بذلك.ولا فرق بين أن يتحدى وبين أن يظهر من قصده ﷺ ادعاؤه النبوة وإظهار الميزة بذلك[٤].

**رابعًا** - كما يستدل على وقوع التحدي بالظروف التي أحاطت بالدعوة الإسلامية، وما أبداه خصومها من مقاومة، فقد صح عن طبقة في زمان النبي ﷺ أن المشركين

(١) إثبات نبوة النبي ﷺ: أحمد بن الحسين الهاروني، ص: ٢١،المكتبة العلمية – بيروت.

(٢) إعجاز القرآن للباقلاني: ص: ١٨.

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (٣ / ٢٥ )، شركة مكتبات عكاظ، السعودية، ط.٢، (٢٠١٤م).

(٤) المغني في أبواب التوحيد والعدل لعبد الجبار بن أحمد الأسد آبادي (١٦ / ٢٤٣) دار الكتب، ط: ١، ١٣٨.

تكلموا في باب القرآن، حتى قال الوليد بن المغيرة: قد سمعت شعر الشعراء، وخطب الخطباء وليس هو منها في شيء ثم قال: إن هذا إلا سحر يؤثر، وقال أمية بن خلف بعد ما ضاق ذرعه: لو شئنا لأتينا بمثله، ظنا منه بأن محمدا تحداهم به من جهة ما فيه من أساطير الأولين إلى غير ذلك مما روي عنهم. وهذا يدل على أنهم كانوا يعلمون عظم حال القرآن، كما يعلمون تحدي محمد به وادعاءه دلالة على نبوته. والأمر في ذلك أظهر وأشهر من أن يحتاج فيه إلى الإكثار[1].

**خامسًا** - يستدل على إثبات التحدي ووقوعه بقرائن الأحوال التي تدل على التحدي ضمنًا، ولا يشترط التحدي الصريح، وقد حصلت هذه القرائن بإعلامه ﷺ أنه رسول الله، وأن هذا القرآن من كلام رب العالمين،

**ومع هذا..** فإن القرآن الكريم جمع إلى هذا التحدي الضمني التحدي الصريح، فأعلن للعرب خاصة وللعالم عامة تفوق بيان القرآن على كل بيان، وأنهم مهما جهدوا فسوف يظلون عن الإتيان بمثله عاجزين، وبهذا صار المشركون عالمين بالتحدي بالقرآن، وقد وقفوا أمامه عاجزين، ولو كانوا قادرين على الإتيان بمثله لما قصروا لحظة عنه، خصوصا أن فيه إبطال نبوته ﷺ والإبقاء على زعامتهم ومكانتهم[2].

مما سبق يستبين لنا أن التحدي قد ثبت وقوعه، واستدل على ذلك بأدلة وبراهين كثيرة لا مجال للجدال فيها.

---

(١) المرجع السابق: (١٦ / ٢٣٦).

(٢) إعجاز القرآن الكريم: د/ محمد صادق درويش، ص: ٧٧،٧٨.

## المطلب الثاني: أنواع التحدي وزمانه

يقتضي البحث أن ننوع التحدي بالقرآن إلى نوعين: عام وخاص، أما الأول وهو التحدي العام فقد ورد لجميع الخلائق بما فيهم الفلاسفة والعباقرة والعلماء والحكماء، وجاء لجميع البشر بدون استثناء، عربهم وعجمهم، أبيضهم وأسودهم، مؤمنهم وكافرهم. قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨].

**وأما الثاني** - (التحدي الخاص) فقد جاء للعرب خاصة، وعلى الأخص منهم لكفار قريش، وقد ورد هذا التحدي على نوعين أيضا:

١- **تحدي كلي**: وهو التحدي بجميع القرآن أو بحديث مثله في بيانه وفصاحته وبلاغته. قال تعالى: ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾. [القصص: ٤٩]

٢- **تحدى جزئي**: وقد ورد في قوله ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [هود: ١٣]، كما ورد التحدي بأقل من ذلك في سورتي (يونس)، و(البقرة)[١][٢].

**كما قسم بعض العلماء التحدي إلى قسمين آخرين:**

أحدهما - ظاهر أو صريح، والآخر - مشار إليه أو ضِمني.

---

(١) الآية ٣٨ من سورة ﴿ يونس ﴾،والآية ٢٣ من سورة ﴿ البقرة ﴾.

(٢) ينظر: التبيان في علوم القرآن لمحمد على الصابوني: [ص ٨٧، ٨٨]، دار الصابوني - القاهرة، ط.٢، (٢٠٠٣م)، المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة: لأحمد عمر أبو شوفة: ( ١/ ٣١)، دار الكتب الوطنية - ليبيا، (٢٠٠٣م) بتصرف يسير.

**أما القسم الأول وهو التحدي الظاهر** - فقد ورد في الآيات السابقة في سور: ﴿ القصص ﴾، و﴿ الإسراء ﴾ و﴿ يونس ﴾ و﴿ هود ﴾و﴿ الطور ﴾و﴿ البقرة ﴾.

**وأماالقسم الآخر وهو التحدي المشار إليه** - فقد ورد في القرآن في مواضع عديدة تضمنت معنى التحدي وإن لم ترد بلفظ التحدي، منها:

-قوله تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٩-٥١].

- وقوله سبحانه: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾. [الحشر: ٢١]

- وقوله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤١-٤٢].

- وقوله جل سلطانه ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [الزمر: ٢٣].

- وقوله تعالى: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

- وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾. [النساء: ١٧٤]

ونظائرها كثير وهي تحرك الطبع، وتقوى الداعي إلى المعارضة [١] وعلى هذا فكل آية وصف القرآن فيها بأنها من عند الله تعالى، أو مدح بصفة خاصة، ونحو ذلك فهي من آيات التحدي المشار إليه أو الضمني، وبهذا يكون التحدي مستمرا، والتقريع بالعجز دائما في آيات كثيرة.

وإتمامًا للفائدة يجدر بنا أن نستعرض آراء العلماء في زمان التحدي، وهل يختص بعهد النبوة، أو يبقى على مر العصور.

***زمان التحدي:***

اختلف العلماء في زمان التحدي، هل يختص بعصر الرسالة، أو يمتد على مر الدهور على قولين:

**القول الأول** - إن العرب في عصر الرسالة هم المخصوصون بالتحدي دون غيرهم، وأن زمان التحدي مقصور على مدة الوحي فقط، وهو قول ورد في كلام الباقلاني[٢] ورجحته الدكتورة بنت الشاطئ بحجة أنهم أصحاب اللسان العربي الذين يدركون أسرار بيانه فهم موضع التحدي، وأن قضية التحدي انتهت بانتهاء عصر المبعث المحمدي؛ لأن التحدي وسيلة من وسائل الإعجاز القرآني، أما الإعجاز ذاته فقائم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، لا يختص به أهل زمان دون زمان، وأعلنت أن الخلط بين ما في ثبوت عجز المشركين من العرب عن المعارضة من حسم لموقف التحدي، وبين خلود المعجزة وبقاء الحجة بها ثابتة على مر الدهر، هو مدعاة الالتباس في هذه القضية وطول الجدل فيها[٣].

(١) إثبات نبوة النبي ﷺ: لأحمد بن حسين الهاروني، ص: ٢٥.

(٢) إعجاز القرآن له: [ص ٨].

(٣) الإعجاز البياني للقرآن: د/ عائشة عبد الرحمن، [ص ٧٥] ط. دار المعارف، ط.٢، (١٩٧١م).

**القول الثاني** - إن التحدي قائم في كل زمان، وهو قول العلامة محمود شاكر[١] والشيخ سيد قطب[٢] والدكتور محمد عبد الله دراز[٣] والسيد صقر في تحقيقه لكتاب إعجاز القرآن للباقلاني[٤]، وهو الذي تفيده عبارات الباقلاني كما أرى، فهو حين رد على من زعم (أنه وإن كان قد عجز عنه أهل العصر الأول فليس أهل هذا العصر بعاجزين عنه )قال: إنا إذا علمنا أن أهل ذلك العصر كانوا عاجزين عن الإتيان بمثله، فمن بعدهم أعجز؛ لأن فصاحة أولئك في وجوه ما كانوا يتفننون فيه من القول مما لا يزيد عليه فصاحة من بعدهم، وأحسن أحوالهم أن يقاربوهم أو يساووهم، فأما أن يتقدموهم أو يسبقوهم فلا، وأنا قد علمنا عجز سائر أهل الأعصار كعلمنا بعجز أهل العصر الأول، والطريق في العلم بكل واحد من الأمرين طريق واحد؛ لأن التحدي في الكل على جهة واحدة، والتنافس في الطباع على حد واحد، والتكليف على منهاج لا يختلف [٥].

**وأرى القول ببقاء التحدي قائما وأنه غير مقصور على عصر القرآن لما يأتي:**

**أولًا** - حين مضى عصر القرآن جاء العصر الذي بعده، وفي البادية وأطرافها أقوام لم تختلط أنسابهم، ولم تنحرف ألسنتهم، ولم تتغير سليقتهم، ثم مضت تلك القرون، وورث هذه اللغة عن أهلها الوارثون، غير أن هؤلاء الذين جاءوا من بعد كانوا أشد عجزا، وأقل طمعا في هذا المطلب العزيز، فكانت شهادتهم على أنفسهم مضافة إلى شهادة التاريخ على أسلافهم، وكان برهان الإعجاز قائما أمامهم من طريقين وجداني وبرهاني، ولا يزال هذا

(١) الظاهرة القرآنية: [ص ٢٥].

(٢) في ظلال القرآن: ( ١/ ٤٨ ).

(٣) النبأ العظيم: [ص ٨٥].

(٤) انظر: هامش [ص ٨].

(٥) إعجاز القرآن للباقلاني: [ص ٢٥].

دأب الناس والقرآن حتى يرث الله الأرض ومن عليها [١] فأهل تلك العصور لم يفترقوا عن أهل العصر الأول من حيث القدرة، فنكوصهم عن معارضته كنكوص أهل العصر الأول، فمحل التحدي في العصرين واحد.

**ثانيًا** - التحدي من شروط الإعجاز، ولما كان (الإعجاز قائما في كل عصر لا يختص به أهل زمان دون زمان)[٢] فالتحدي قائم على أهل العصر الأول ومن بعده معًا.

**ثالثًا** - أن آيات التحدي وإن كانت موجهة لأهل العصر الأول فهي عامة غير مخصوصة بأحد أو زمن، يقول تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾ [البقرة: ٢٣]. ومعلوم أن خطاب الله للرسول ﷺ هو خطاب لأمته، فالتحدي لم ينقطع بانقطاع الوحي، وإنما هو باق إلى بوم القيامة، قال د: فهد الرومي: انقطع الوحي والتحدي ما زال قائما لم ينقطع ولم ينته فهو - لقوته - امتد زمنا حتى شمل آباده، وامتد مكانا حتى انتظم آفاق الأرض[٣].

**رابعًا** - أن هذا هو الحق الذي لا يحل القول بغيره؛ لأنه نص قول الله عَزَّوَجَلَّ إذ يقول: ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ ﴾ [الإسراء: ٨٨]. فهذا نص جلي على أنهم لا يأتون بمثله بلفظ الاستقبال،فصح - يقينا - أن ذلك على الأبد، وفي المستأنف أبدا، ومن ادعى بأن المراد بذلك الماضي فقد كذب؛ لأنه لا يجوز أن تحال اللغة، فينقل لفظ المستقبل إلى معنى الماضي إلا بنص آخر جلي وارد بذلك أو بإجماع

(١) النبأ العظيم: [ص٨٥] بتصرف يسير.

(٢) العبارة بين القوسين في الإعجاز البياني لبنت الشاطئ: [ص ٧٤].

(٣) خصائص القرآن المكي: [ص ٩٤] مكتبة الرياض، ط. العاشرة (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م).

متيقن أن المراد به غير ظاهره، ولا سبيل في هذه المسألة إلى أحد هذه الوجوه[١] وأياما كان فهذان القولان وإن كانا مختلفين في الظاهر فالنتيجة واحدة؛ لأن التحدي للعرب في عصر الرسالة هو تحد لأهل العصور المتأخرة جميعا، وإذا عجز الأوائل - وهم أهل الفصاحة والبيان - فمن باب أولى أن يعجز الأواخر ممن بقي معه اللسان العربي أو اختلطت به العجمة، والله أعلم.

(١) القرآن يتحدى لأحمد عز الدين خلف الله ص: ١٩٨.

## المطلب الثالث
## الحاجة إلى التحدي وحكمته

إن التحدي آية ودلالة للنبي على صدقه، لذا تحدى المرسلون بها أمدهم الله من الآيات على صدقهم، فتحدى موسى بالعصا واليد البيضاء، وأقام الحجة على معارضيه، وتحدى عيسى بإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص...وتحدى محمد ﷺ بالقرآن أمة فيها أفصح الفصحاء، وسجل عليهم العجز، فصح له ما ادعاه، ولو قدّر لهم الإتيان بمثله لما كان القرآن برهانا له بعد تحديهم، وتظهر فائدة التحدي من جهات:

أولا - أنها دليل وبرهان على صدق الرسول الذي جاء بها، وليس للنبي فيها عند سائر المتكلمين إلا التحدي بها بإذن الله، وهو أن يستدل بها النبي قبل وقوعها على صدقه في مدعاه، فإذا وقعت تنزلت منزلة القول الصريح من الله بأنه صادق، وتكون دلالتها حينئذ على الصدق دلالة قطعية(١) وإذا كانت دون التحدي لم تنزل منزلة التصديق(٢).

**ثانيًا** - تثبيت فؤاد النبي ﷺ ومن معه من المؤمنين، فهو بالتحدي يزداد ثباتا وعزما، ويشعر بمدد الله وعونه وأنه يتعهده برعايته.ولا شك أن المعجزة تشد أزره، باعتبارها مؤيدة له ولحزبه، خاذلة لأعدائه ولخصمه(٣).

**ثالثًا** - تسجيل العجز على الأمة التي وقع عليها التحدي رغم حاجة منكريها الشديدة للمعارضة، واحتيج إلى التحدي لإقامة الحجة وإظهار وجه البرهان على الكافة؛ لأن المعجزة إذا ظهرت فإنما تكون حجة بأن يدعيها من ظهرت عليه، ولا تظهر

---

(١) مقدمة ابن خلدون: [ص ٩٣].

(٢) الغنية في أصول الدين لعبد الرحمن بن محمد أبو سعيد: [ص ١٥١]، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الخدمات والأبحاث - بيروت، ط.١ (١٩٨٧م).

(٣) مناهل العرفان للزرقاني: ١/ ٣٩، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: ١٩٨٨م.

على مدع لها إلا وهى معلومة أنها من عند الله.فإذا كان يظهر وجه الإعجاز فيها للكافة بالتحدي، وجب فيها التحدي؛ لأنه تزول بذلك الشبهة عن الكل، وينكشف للجميع أن العجز واقع عن المعارضة [(١)].

**رابعًا** - ومن فوائد التحدي بالقرآن أن يعرف إعجازه من لا دراية له بفنون إعجازه عند وقوفه على عجز الفصحاء والبلغاء بالعلم المتواتر، فإنما يعرف أولا إعجازه بطريق،لأن الكلام المعجز لا يتميز من غيره بحروفه وصورته، وإنما يحتاج إلى علم وطريق يتوصل به إلى معرفة كونه معجزا، فإن كان لا يعرف بعضهم إعجازه، فيجب أن يعرف هذا، حتى يمكنه أن يستدل به، ومتى رأى أهل ذلك اللسان قد عجزوا عنه بأجمعهم مع التحدي إليه والتقريع به والتمكين منه صار حينئذ بمنزلة من رأى اليد البيضاء وانقلاب العصا ثعبانا تتلقف ما يأفكون... [(٢)].

**حكمة التحدي:**

لقد كان من عادة العرب أن يتحدى بعضهم بعضا في المساجلة والمعارضة بالقصيد والخطب ثقة منهم بقوة الطبع، ولأن ذلك مذهب من مفاخرهم يستعلون به، ويذيع لهم حسن الذكر وعلو الكلمة وهم مجبولون عليه فطرة، ولهم فيه المواقف والمقامات في أسواقهم ومجامعهم، فتحداهم القرآن في آيات كثيرة أن يأتوا بمثله أو بعضه، وسلك إلى ذلك طريقا كأنها قضية من قضايا المنطق التاريخي.

ولذلك، فإن حكمة هذا التحدي وذكره في القرآن؛ إنما هي أن يشهد التاريخ في كل عصر بعجز العرب عنه وهم الخطباء والفصحاء اللسن، وهم كانوا في العهد الذى لم يكن للغتهم خير منه ولا خير منهم في الطبع والقوة، فكانوا مظنة المعارضة والقدرة

---

(١) إعجاز القرآن للباقلاني: [ص ٢٤].

(٢) المرجع السابق: [ص ٢٥٨] بتصرف.

عليها حتى لا يجيء بعد ذلك فيما يجئ من الزمن أعجمي أو كاذب أو منافق فيزعم أن العرب كانوا قادرين على مثله وأنه غير معجز، وأن عسى أن لا يعجز عنه إلا الضعيف، ويا لله من سمو هذه الحكمة وبراعة هذه السياسة التاريخية لأهل الدهر[١].

وهناك حكمة ثانية تبين أن هذه الطريقة المعجزة التي نزل بها القرآن كانت السبب في حفظ العربية واستخراج علومها، وما كان أصل ذلك إلا التحدى بها. فإن من حكمة هذا التحدي: أن يدعوهم إلى النظر في أساليبه ووجه نظمه وتدبر طريقته حتى إذا استيقنوا العجز وأطرقوا عليه كان ذلك سببا لمن يخلفهم على اللغة إلى استبانة وجوه الإعجاز، فكشف لهم عن فنون اللغة، وتأدت بهم إلى حيث بلغوا من تتبع كلام العرب والاستقصاء فيه والكشف عن محاسنه، وأغرى بعض ذلك من بعضه، وأعان كل على كل حتى اجتمعت المادة وتلاحقت الأسباب، ولولا ما صنعوا لخرج الناس إلى العجمة، ولذهبت هذه الآداب، ولما بقي في الأرض إلى اليوم من يقول: إن القرآن معجز[٢]

كما أن هناك حكمة أخرى جليلة للتحدي قرر بها القرآن الكريم أسمى ما انتهت إليه عقول الحكماء وأهل التشريع في العصور الأخيرة بينها الأستاذ مصطفى صادق الرافعي حيث يقول: «لا ثقة برأي إلا بعد تمحيصه ونقده، ولن يكون النقد نقدا إذا كان من أنصارك ومؤازريك، بل هو النقد إذا جاء من المعارضين لك والمنكرين عليك، ثم لا يتم له معناه إلا إذا كان من أقواهم فكرا وأصحهم رأيا، وأبلغهم قلما، فإن لم ينتقدك هذا ومثله فادفعهم إليك دفعًا وتحدهم تحديا، وارمهم بالعجز إذا لم يفعلوا، فإن الحجة ليست لك ولا هي لهم، وإنما تنحاز إلى الغالب منكما، وحتى الحجة الصحيحة فإنها أبدا في حاجة ماسة إلى حجة أخرى تؤيدها أو تفسرها أو تحدها أو تمنع اللبس بينها وبين

---

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي ص: ١٦٨، ١٦٩ بتصرف.

(٢) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي ص: ٢٣٩.

غيرها، ومن هنا يظهر السر المعجز الغريب البالغ منتهى الدقة في القرآن الكريم، فإن هذا الكتاب من دون الكتب السماوية هو وحده الذى انفرد بتحدي الخلق وإثبات هذا التحدي فيه[١].

وذكر بعض العلماء أن تحدي القرآن للعرب بعد عادات سلفت لهم في التحدي في مثل ذلك والمباراة والمنازعة فيه كان الجديد فيه أنه لم يكن من أجل شيء مألوف عندهم، وهو طلب السلطة والغلبة والاستعلاء، بل كان من أجل الإقرار بصدق الرسالة، وما يتبع ذلك من الإيمان بالله ورسوله [٢].

كما ألمح الزرقاني إلى هذه الحكمة أيضا فقال بعد أن ذكر التحدي: هل يشك ذو مسكة من عقل في أن هذا الإنسان المتفوق الممتاز صادق في رسالته، محق في دعايته، فالتحدي ليس مقصودا لذاته، بل المقصود لازمه، وهو إظهار أن هذا الكتاب حق وأن الرسول ﷺ الذى جاء به صدق [٣].

(١) المرجع السابق: [ص ٢٦٩].

(٢) القرآن يتحدى لأحمد عز الدين خلف الله: [ص ١٣٨]، مطبعة السعادة – القاهرة (١٣٩٧هـ – ١٩٧٧م).

(٣) مناهل العرفان: (١/ ٦٧)، (٢/ ٢/ ٢٢٧).

## المطلب الرابع
## القدر المعجز الذى وقع به التحدي

اختلف العلماء في القدر المعجز الذى وقع به التحدي من القرآن على أقوال أجملها في الأقوال التالية: -

**القول الأول** - إن التحدي يقع بقليل القرآن وكثيره، وهو قول ابن حزم وعزاه إلى سائر أهل الإسلام [١]، ودليله: أن الله تعالى تحداهم بقوله: ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ [الطور: ٣٤].

قال: ولا يختلف اثنان في أن كل شيء من القرآن قرآن، فكل شيء من القرآن معجز. وهذا القول قد أطلق القدر الذى يقع به الإعجاز مهما قل، ولو لم يظهر فيه تفاضل قوى البلاغة تشبثا بظاهر الآية، ولا يخفى ضعف هذا القول، إذ الاستدلال في غير موضعه ولا دلالة في الآية؛ لأن الحديث التام لا تتحصل حكايته في أقل من كلمات سورة قصيرة[٢]، وينقضه أيضًا أن أقل القرآن كلمة، وليست بذاتها معجزة، كما رد هذا القول الدكتور موسى شاهين لاشين فقال: إن الآية لا دلالة فيها على ما ادعوا؛ لأن قبلها قوله: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الطور: ٣٤]. وهم لم يدعوا أن محمدا تقول آية منه، بل ظاهره ادعاؤهم تقول محمد للقرآن. ولذا حمله بعضهم على أن التحدي فيها كان بالقرآن لا ببعضه، ثم تنزل في التحدي إلى عشر سور ثم تنزل إلى سورة[٣].

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم: (٣/ ١٣).

(٢) ينظر: إعجاز القرآن للباقلانى: [ص ٢٦١]، الإتقان: (٣/ ١٨).

(٣) اللآلئ الحسان في علوم القرآن: د/ موسى شاهين لاشين، [ص ٢٥٢]، دار التأليف (١٩٦٨م).

**القول الثاني** - إن المعجز سورة قصيرة كانت أو طويلة أو ما كان بقدرها بعدد الحروف أو الكلمات، وهو قول أبي الحسن الأشعري وأصحابه(١)، واحتجوا بقوله سبحانه: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾، وبقوله: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾.

**وهذا القول عليه اعتراضان:**

**الاعتراض الأول** - إن احتجاجهم بالآيتين السابقتين باطل؛ لأنهم تشبثوا بلفظ (سورة) فيهما، وجعلوا معجزا ما ليس سورة، ولم يقل الله تعالى: ( بمقدار سورة).

**الاعتراض الثاني** - إن سورة ﴿الكوثر﴾ عشر كلمات، اثنان وأربعون حرفا، وقد جاء في آيات أخرى على سبيل المثال: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ﴾ [النساء: ١٦٣]. اثنتا عشرة كلمة، اثنان وسبعون حرفا، وإن اقتصرنا على الأسماء فقط كانت عشر كلمات، اثنين وستين حرفا، فهذا المذكور هنا من آية سورة ﴿النساء﴾ أكثر كلمات وحروفا من سورة ﴿الكوثر﴾، فينبغي أن يكون معجزا على قولهم ولا يظهر الإعجاز بمجرد ذكر الأسماء(٢).

**القول الثالث** - إن كل سورة برأسها معجزة وهو قول جماعة من أهل العلم(٣)، وقال به المعتزلة، قال ابن العربي في مفاضلة سورة ﴿الإخلاص﴾ على آية الكرسي: «إنها سورة - أي: سورة ﴿الإخلاص﴾ - وهذه آية، فالسورة أعظم من الآية؛ لأنه وقع التحدي بها، فهي أفضل من الآية التي لم يتحدّ بها»(٤).

---

(١) إعجاز القرآن للباقلاني: [ص ٢٦١].

(٢) انظر: الفصل في الملل: (٣/ ١٣).

(٣) انظر: المواقف لعضد الدين الأيجي: (٣/ ٣٧٩).

(٤) البرهان للزركشي: (١/ ٥٢٤)، ولم أجده في أحكام القرآن لابن العربي.

وقد أورد ابن حزم على هذا القول اعتراضا مفاده: أنهم إن قالوا سورة تامة لا أقل لزمهم أن سورة ﴿ البَقَرَة ﴾ حاشا آية واحدة أو كلمة واحدة من آخرها أو من أولها ليست معجزة، وهكذا كل سورة من السور الطوال وغيرها، فهل معنى ذلك أن هذه السور التي نقصت آية أو كلمة مقدور على مثلها؟[١].

**القول الرابع** - وذهب إليه الإمام الرازي الذى أعلن أن السور القصار مقدور عليها لولا الصرفة قال: فإن قيل قوله: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ يتناول سورة ﴿ الكَوثَر ﴾، وسورة ﴿ العَصر ﴾ وسورة (قل يا أيها الكافرون)، ونحن نعلم بالضرورة أن الإتيان بمثله أو بما يقرب منه ممكن، فإن قلتم إن الإتيان بأمثال هذه السور خارج عن مقدور البشر كان ذلك مكابرة، والإقدام على أمثال هذه المكابرات مما يطرق التهمة إلى الدين، قلنا: فلهذا السبب اخترنا الطريق الثاني، وقلنا: إن بلغت هذه السورة في الفصاحة إلى حد الإعجاز فقد حصل المقصود، وإن لم يكن الأمر كذلك كان امتناعهم عن المعارضة مع شدة دواعيهم إلى توهين أمره معجزًا. فعلى هذين التقديرين يحصل المعجز[٢]، وأكد هذا القول ثانية فقصر التحدي على مطلق السور التى يظهر فيها قوة تركيب الكلام وتأليفه[٣].

بيد أن الحافظ ابن كثير قد فند هذا القول، وذكر أن التحدي القرآني يعم كل سورة في القرآن، طويلة كانت أم قصيرة؛ لأنها نكرة في سياق الشرط فتعم كما هي في سياق النفي عند المحققين من الأصوليين، والصواب أن كل سورة من القرآن معجزة، لا يستطيع البشر معارضتها طويلة كانت أو قصيرة[٤].

(١) انظر: الفصل لابن حزم: (٣/ ١٣).
(٢) مفاتيح الغيب: (٢/ ١١٧).
(٣) المرجع السابق: (١٧/ ١٩٥).
(٤) تفسير ابن كثير: (١/ ٦٢).

الترجيح: الذي يظهر لي- والله أعلم - أن الراجح هو القول الثالث، وهو أن التحدي يقع بكل سورة بكمالها، وينبغي أن نفرق بين (معجز) وبين (معجز وقع به التحدي)، فنصوص الآيات حددت (سورة) في أقل مراحل التحدي، فيجب أن نقف مع النص دون قياس السورة بما يقابلها من عدد الحروف، أو الكلمات، أو الآيات وذلك لأن مقابلة السورة بواحدة من هذه الثلاث بحاجة لبينة وبرهان.

ولا يفهم من ذلك أن البشر يمكن لهم أن يأتوا بآية كآية الدين، أو بسورة كسورة ﴿ البَقَرَة ﴾، سوى آية منها كما أشار ابن حزم؛ لأن ذلك ليس بوسعهم حسبما تواترت الأخبار، فهي معجزة لكن لم يقع التحدي بها.

ويعلم إعجاز ما دون السورة بعجز الناس عن الإتيان بمثله دون أن نقول: إن التحدي وقع به، فقد حكى أبو عبيدة: «أن أعرابيا سمع رجلا يقرأ ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [الحِجر: ٩٤]. فسجد وقال: سجدت لفصاحة هذا الكلام»[(١)].

ومن كان أعرف بالعربية وفنون بلاغتها كان أعرف بإعجازه، فإذا كانت آية الدين أعجزتهم فهي معجزة لم يقع بها التحدي، وإذا كانت اللفظة أو اللفظتان أو الثلاثة لم تعجزهم عن الإتيان بمثلها قلنا: إنها غير معجزة ولم يقع بها التحدي.

فضبط مقدار المتحدي به من القرآن سورة، وقدر المعجز منه ما تواترت به الأخبار عن عجز العرب عن الإتيان بمثله.

والخلاصة.. أن آيات التحدي أثبتت أن كل سورة في القرآن معجزة وقع بها التحدي والسور الطوال والقصار في الإعجاز سواء، وقد عجز العرب عن السور القصار مثل عجزهم عن السور الطوال، فلم يقع التحدي بالآية، أو الكلمة، وإنما لوحظ هذا المقدار

(١) أعلام النبوة لأبي الحسن الماوردي: [ص ١-٢].

- سورة أو ما يساويها - لكي تظهر مزية النوع وفضيلته، فالتحدي في النوع والمقدار معا لا في أحدهما، يؤكد ذلك ما ذكره الدكتور: مصطفى مسلم في كتابه (مباحث في إعجاز القرآن) حيث رجح هذا القول إذ إنه هو الذى يظاهره ويؤيده ظاهر مراحل التحدى فيه وقال: «إن هذا ما وقع به التحدي، فالتحدي لم يقع على أقل من سورة، والسورة تطلق على القصيرة والطويلة، والسورة بشخصيتها المستقلة هي المقصودة في آيات التحدي، والإتيان بمثلها خارج عن طوق الإنس والجن وإن قصرت كسورة ﴿ الكوثر ﴾»[1].

(١) مباحث في إعجاز القرآن: د/ مصطفى مسلم، [ص ٤٢]، دار القلم - مشق، (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م).



## المطلب الخامس
## وجه الإعجاز الذى وقع به التحدي

بادئ ذي بدء يجب أن نعلم أنه لا يحيط علما بأسرار إعجاز القرآن ووجوهه سوى منزله العلي القدير، لذا فكل من بحث في هذا المجال الرحب واقف في درك القصور عن هذا المقام؛ لذلك، فإن الناظر في هذا الكتاب الكريم - بإنصاف وتأمل - تتراءى له وجوهٌ كثيرة مختلفة من الإعجاز كما تتراءى للناظر إلى قطعة من الماس ألوان متعددة بتعدد ما فيها من زوايا وأضلاع مختلفة باختلاف ما يكون عليه الناظر، وما تكون عليه قطعة الماس من الأوضاع[1].

**لـذا.. فإننا في هذا المقام سنختار من هذه الأوجه الكثيرة أبرزها وأدلها على المراد:**

**الوجه الأول-** ما انطوي عليه القرآن الكريم من الإخبارعن الحوادث الآتية فوجدت في الأيام اللاحقة علي الوجه الذى أخبر.

**الوجه الثاني -** ما تضمنه من الإخبار عن قصص الأولين وسائر المتقدمين حكاية من شاهدها وحضرها، وقد علم من حاله ﷺ أنه كان أميا لا يقرأ ولا يكتب، ولا اشتغل بمدارسة مع العلماء، بل تربي بين قوم كانوا يعبدون الأصنام، ولا يعرفون الكتاب، ومع ذلك فغيوب الماضي في القرآن كثير تتمثل في تلك القصص الرائعة التي يفيض بها التنزيل، ولم يكن لعلم النبي بها من سبيل[2].

---

(١) مناهل العرفان: (٢/ ٣٣٢).

(٢) ينظر: إعجاز القرآن للباقلاني: [ص ٣٤]، والآية (٤٩) من سورة ﴿هُودٍ﴾.

**الوجه الثالث** - جمع القرآن الكريم معارف جزئية وعلوم كلية لم تعهدها العرب عامة، ولا رسول الله ﷺ خاصة من علم الشرائع والأحكام، والتنبيه علي طرق الحجج العقلية والسير والمواعظ والحكم، وأخبار الدار الآخرة، ومحاسن الآداب والشيم[١].

**الوجه الرابع** - كونه بريئًا من الاختلاف والتفاوت مع أنه كتاب كبير مشتمل علي أنواع كثيرة من العلوم، فلو كان ذلك من عند غير الله لوقع فيه أنواع من التناقض؛ لأن الكتاب الكبير الطويل لا ينفك عن ذلك، ولما لم يوجد فيه ذلك علمنا أنه ليس من عند غير الله تعالى.

**الوجه الخامس**- أن القرآن الكريم في الدرجة العالية من البلاغة التي لم يعهد مثلها في تراكيب العرب، وتقاصرت عنها درجات بلاغتهم، وهي عبارة عن التعبير باللفظ المعجب عن المعني المناسب للمقام الذي أورد فيه الكلام بلا زيادة أو نقصان في البيان والدلالة عليه. وقد جاء القرآن بهذا الأسلوب الرائع الخلاب الذي اشتمل علي تلك الخصائص العليا التي لم تجتمع، بل لم توجد خاصة واحدة منها في كلام علي نحو ما وجدت في القرآن الكريم، وكل ما كان من هذا القبيل فهو لاشك معجز، خصوصًا أن النبي ﷺ تحدي به فأعجز أساطين العظماء، وأعيا مقاويل البلغاء، وأخرس ألسنة فحول البيان من أهل صناعة اللسان، وذلك في عصر كانت القوي فيه قد توافرت علي الإجادة في هذا الميدان[٢].

**ويدل على كون القرآن في هذه الدرجة من البلاغة أمور:**

**الأمر الأول** - فصاحة العرب أكثرها في وصف المشاهدات مثل وصف بعير أو فرس أو جارية أو ملك أو ضربة أو طعنة، ودائرة الفصاحة والبلاغة في ذلك متسعة

---

(١) ينظر: إظهار الحق: (٣/ ٧٧٥)، مناهل العرفان: (٢/ ٣٣٢).

(٢) ينظر: الإتقان: (٤/ ٨)، مناهل العرفان: (٢/ ٣٣٢).

جدًا؛ لأن طبائع أكثر الناس تكون مائلة إليها، وظهر من الزمان القديم في كل وقت وفي كل إقليم من شاعر أو كاتب مضمون جديد ونكتة لطيفة في بيان شيء من هذه الأشياء المذكورة، ويكون المتأخر المتتبع واقفًا علي تدقيقات المتقدم غالبًا.

وليس القرآن في بيان خصوص هذه الأشياء سلف يتبعه، فكان يجب أن لا تحصل فيه الألفاظ الفصيحة التي اتفقت عليها العرب في كلامهم، ولكن حصل فيه ذلك ،وليس ذلك إلا من الله تعالى(١).

**الأمر الثاني** - القرآن الكريم مع طوله فصيح كله، حيث استمرت الفصاحة والبلاغة فيه من جميع أنحائها في جميعه استمرارًا لا يوجد له فترة ولا يقدر عليه أحد من البشر، وكلام العرب ومن تكلم بلغتهم لا تستمر الفصاحة والبلاغة في جميع أنحائها في العالي منه إلا في الشيء اليسير المعدود، ثم تعرض الفترات الإنسانية فينقطع طيب الكلام ورونقه، فلا تستمر لذلك الفصاحة في جميعه(٢).

**الأمر الثالث** - الأغلب أنه إذا انتقل الكلام من مضمون إلي مضمون آخر، أو اشتمل علي بيان أشياء مختلفة لا يبقي حسن ربط الكلام، ويسقط عن الدرجة العالية للبلاغة، والقرآن يوجد فيه الانتقال من قصة إلي قصة أخرى، والاشتمال علي أمر ونهي،وخبر واستخبار، ووعد ووعيد، وتوحيد الذات وتفريد الصفات، وترغيب وترهيب، وضرب مثال وبيان حال وغيرها، ومع ذلك يوجد فيه كمال الربط، والدرجة العالية للبلاغة الخارجة عن العادة، فتحير فيها عقول بلغاء العرب(٣).

---

(١) إظهار الحق: (٣/ ٧٧٥، ٧٧٦).

(٢) ينظر: البرهان للزركشي: (٢/ ١ , ١)، الإتقان: (٤/ ١).

(٣) إعجاز القرآن للباقلاني: [ص ٣٨].

**الأمر الرابع** - تأليفه العجيب وأسلوبه الغريب في المطالع والمقاطع والفواصل، مع اشتماله علي دقائق البيان، وحقائق الفرقان وحسن العبارة، وسلامة التركيب فتحيرت فيه عقول العرب الخلص وفهومهم، والحكمة في ذلك أن لا يبقي لمتعسف عنيد حجة قائمة، وليمتاز هذا الكلام عن كلامهم ويظهر تفوقه[١].

**وبعد**... فهذه الأمور السابقة وغيرها تثبت أن هذا الوجه من وجوه إعجاز القرآن هو الوجه الذى تحدى الله به العرب، كما أنه هو الذي امتاز به القرآن على غيره من الكتب السماوية، وإنما كان هذا الوجه أعدل الوجوه وأعرقها في التحدي والإعجاز؛ لأنه يتناسب مع ما جرت به سنة الله تعالى في تأييد أنبيائه بالمعجزات التي تكون من جنس ما اشتهر فيه أقوامهم لتكون أبلغ في الإعجاز وأتم في التأييد، والقرآن جاء متحديا ومعجزا لمن اشتهروا في الفصاحة والبلاغة؛ لذلك فإن جمهور العلماء ذهب إلى أن نظم القرآن معجز وقع به التحدي.

**قال ابن عطية**: «الذي عليه الجمهور والحذاق، وهو الصحيح في نفسه، أن التحدي وقع بنظمه وصحة معانيه وتوالي فصاحة ألفاظه»[٢].

فالوجه الذي وقع به التحدي هو نظم القرآن وما يتصل به من البلاغة والبيان، فهو الذي دلت عليه آيات التحدي: ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ ﴾ [هُود: ١٣]؛ حيث إن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قيد السور العشر المطلوبة بقوله: ﴿ مُفْتَرَيَٰتٍ ﴾أي مكذوبات لا تطابق الواقع، ولا تحتوي أخبارا صحيحة ولا معاني سديدة، ولا علوما دقيقة ولا حكما ولا أحكاما، على أن تماثل القرآن في نظمه وبلاغته وأسلوبه وفصاحته دون معناه[٣].

(١) فتح الباري لابن حجر: (٨/ ٦٢٣).

(٢) المحرر الوجيز: (١/ ٧١)، ونقله الزركشي في البرهان: (٢/ ٢٠١).

(٣) نظم الدرر للبقاعي: (٩/ ٢٥).

ولا يراد من اختيار هذا الوجه ردّ وجوه الإعجاز الأخرى كالإعجاز العلمي، أو الغيبي، أو التشريعي،...الخ، فما صحّ منها يعد وجها من وجوه إعجازه إلا أنه لم يقع به التحدي في قوله: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البَقَرَة: ٢٣]؛ لأن هذا التحدي شامل لجميع سور القرآن، فهو تحد بوجه مطرد في جميع سور القرآن، وليس كذلك الآيات الكونية أو الغيبية أو التشريعية، فإنها في بعض سور القرآن دون بعض.

وأيضًا فعند مراجعة كتب التفسير والتاريخ والأدب نجدها تروي معارضات عورض بها القرآن كالذي نسب إلى مسيلمة، وأبي العلاء، وكلها محاولات فاشلة لمعارضة نظم القرآن، بيد أننا لا نجد نصا واحدا يعارض القرآن بوجوه الإعجاز الأخرى، مما يدل على أن فهم المعارضة: معارضة النظم لا غير.

وهذا الذي قررناه من أن التحدي وقع بوجه واحد دون غيره، قال به العلماء قديما وحديثا، وأكتفي بعرض قول عالمين جليلين، أحدهما من السابقين وهو الإمام الخطابي، والآخر من المحدثين وهو الأستاذ محمود شاكر.

أما الخطابي فقد رد هذا في رسالته (بيان إعجاز القرآن)، بأن التحدي وقع بالإعجاز الغيبي وما يتضمنه من الإخبار عن الكوائن في مستقبل الزمان مع أنه لم يشكك في إعجاز هذا الوجه فقال: «قلت: ولا يشك في أن هذا وما أشبهه من أخباره نوع من أنواع إعجازه، ولكنه ليس بالأمر العام الموجود في كل سورة من سور القرآن، وقد جعل سبحانه في صفة كل سورة أن تكون معجزة بنفسها لا يقدر أحد من الخلق أن يأتي بمثلها»[(١)]. وخلص الخطابي من ذلك ليقرر أن القرآن صار معجزا لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف متضمنًا أصحّ المعاني.

(١) بيان إعجاز القرآن للخطابي: [ص ٢٣-٢٤]، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، دار المعارف - مصر.

وأما الأستاذ محمود شاكر فقد بيَّن أيضا أن التحدي وقع بوجه واحد هو (النظم والبيان)، وأنه الوجه الذي طولب العرب بتذوقه للإقرار والتسليم بصحة ما جاء في القرآن الكريم دون غيره من وجوه الإعجاز الأخرى، قال: «وإذا صح أن قليل القرآن وكثيره سواء في هذا الوجه» أي: (النظم والبيان) ثبت أن ما في القرآن جملة من حقائق الأخبار عن الأمم السالفة، ومن أنباء الغيب، ومن دقائق التشريع، ومن عجائب الدلالات على ما لم يعرفه البشر من أسرار الكون إلا بعد القرون المتطاولة من تنزيله، كل ذلك بمعزل عن الذي طولب به العرب[1].

وخلاصة القول: إن التحدي وقع بنظم القرآن وما يتصل به من البلاغة والبيان، وهو الوجه الذى حظي بالقبول الأعظم - قديمًا وحديثًا - على حين لم تلق الوجوه الأخرى مثل هذا الرواج، بل وصل الأمر إلى أن أباها كثيرون؛ إما لأنها مما استأثر الله بها فلا تصلح للتحدي، أو لأنها غير صالحة للتحدي أصلًا، والله أعلم.

(١) ذكر ذلك العلامة محمود شاكر في تقديمه لكتاب ( الظاهرة القرآنية) لمالك بن نبي: [ص ٢٨]، دار الفكر - دمشق، (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م).

## المطلب السادس
## مراتب التحدي بالقرآن الكريم

جاء التحدي في القرآن الكريم بصور متعددة، وأساليب متنوعة، تهز كيان العرب هزًا، وتجرهم إلى الميدان جرًا، في أسلوب ممتع أخاذ، يملك عليهم شعورهم، ويستحوذ على أفئدتهم بجلاله وجماله ورونقه وروعته، حيث تدرج القرآن في تحدى العرب من الكثرة إلى القلة وهم في كل عاجزون، وذلك حسب نزول آياته:

**أولا** - بدأ بمطالبتهم بالإتيان بكتاب من عند الله هو أهدى مما أوتي موسى ومن القرآن قال تعالى: ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [القصص: ٤٩].

**ثانيًا** - إعلامهم بأن العالمين مجتمعين لا يستطيعون الإتيان بمثل هذا القرآن، قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ﴾. [الإسراء: ٨٨]

**ثالثًا** - التحدي بالإتيان بسورة مثله والاستعانة بمن استطاعوا من دون الله تعالى قال سبحانه: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [يونس: ٣٨].

**رابعًا** -التحدي بعشر سور مثله مفتريات قال ﷻ: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [هود: ١٣].

**خامسًا** - التحدي بالإتيان بحديث مثله، وهو آخر تحد نزل بمكة، قال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ [الطور: ٣٣-٣٤].

سادسًا - التحدي بالإتيان بسورة من مثله، وهذا في أول سورة بالمدينة، قال تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣]، وعلى هذا الترتيب[١] يكون التحدي وقع أولا بالقرآن كله، أو بما نزل من القرآن وقت نزول السورة كما في سورتي ﴿ القصص ﴾ و﴿ الإسراء ﴾، ثم التحدي بسورة كما في ﴿ يونس ﴾، ثم التحدي بعشر سور كما في ﴿ هود ﴾، ثم التحدي بالقرآن كاملًا كما في ﴿ الطور ﴾ أو أنها تسجيل للعجز عليهم بعد أن تم تحديهم بالسور السابقة، ومن ثم التحدي بسورة كما في سورة ﴿ البقرة ﴾، وهذا ما عليه جمهور العلماء في نزول السور السابقة فالقرآن لم يسد عليهم باب المعارضة، بل فتحه على مصراعيه، بل دعاهم إليه أفرادًا أو جماعات، بل تحداهم وكرر عليهم ذلك التحدي في صور شتى متهكما بهم، متنزلا معهم إلى الأخف فالأخف، فدعاهم أول مرة أن يجيئوا بمثله، ثم دعاهم أن يأتوا بعشر سور مثله، ثم أن يأتوا بسورة واحدة مثله، ثم بسورة واحدة من مثله، وأباح لهم في كل مرة أن يستعينوا بمن شاءوا ومن استطاعوا، ثم رماهم والعالم كله بالعجز في غير مواربة[٢].

هذا.. وربما يسأل سائل ويقول: لما كان عجزهم هذا في علم الله تعالى، فلماذا لم يظهره مرة واحدة؟ وما الحكمة في تعدد التحدي إلى مرات عديدة؟

---

(١) اعتمدت في ترتيب آيات التحدي على رواية ابن عباس رضي الله عنهما والذي أخرجها ابن الضريس في «فضائل القرآن»، كما اعتمده الزركشي، ثم قال: وعليه استقرت الرواية عن الثقات، ينظر: «البرهان في علوم القرآن» له: (١/ ١٩٣، ١٩٤)، وقال السيوطى في «الإتقان»: (١/ ٧٣) بعد أن ساق أثرًا مثل هذا تمامًا رواه أبو بكر محمد بن الحارث بن أبيض في جزئه بسنده إلى جابر بن زيد التابعي، قال السيوطي: «هذا سياق غريب وفي هذا الترتيب نظر».

(٢) النبأ العظيم: [ص ٨٥].

والجواب: أن عجزهم كان في علم الله تعالى، وأما عدم إظهار الله تعالى له مرة واحدة، فهذا لحكم عديدة منها:

**أولًا** - حصول الاطمئنان لقلب النبي الأمي محمد ﷺ.

**ثانيًا** - إثبات المدعى تدريجًا وتسهيلًا لهم حسب عاداتهم وطبائعهم أمام الخواص والعوام.

**ثالثًا** - إظهار إعجاز القرآن الكريم عن الإتيان بمثله، وما إلى ذلك، ويصور لنا صاحب (المناهل) هذا التدرج البديع، فيقول:

«ومن عجيب أمر هذا القرآن وأمر هؤلاء العرب أنه طاولهم في المعارضة، وتنازل لهم عن التحدي بجميع القرآن إلى التحدي بعشر سور مثله، ثم إلى التحدي بسورة واحدة مثله، وهم على رغم هذه المطاولة ينتقلون من عجز إلى عجز، ومن هزيمة إلى هزيمة، وهو في كل مرة من مرات هذا التحدي وهذه المطاولة ينتقل من فوز إلى فوز ومن نصر إلى نصر[١]، ومضى عصر القرآن والتحدي قائم ليجرب كل امرئ نفسه، وجاء العصر الذى بعده وفي البادية وأطرافها أقوام لم تختلط أنسابهم، ولم تنحرف ألسنتهم، ولم تتغير سليقتهم، ومنهم من لو استطاعوا أن يأتوا على هذا الدين من أساسه، ويثبتوا أنهم قادرون من أمر القرآن على ما عجز عنه أوائلهم لفعلوا، ولكنهم ذلت أعناقهم له خاضعين، وحيل بينهم وما يشتهون»[٢].

ومع عجزهم عن التحدي، فإن بعضًا منهم قد أكلت الغيرة قلبه، وسولت له نفسه الشريرة أن يعارض القرآن، فنزل الميدان، وأتى بكلام بارد مضحك، وأساليب سخيفة كانت مثار سخرية العقلاء فيها بعد.

---

(١) مناهل العرفان: (٢/ ٢٢٩، ٢٣٠).

(٢) النبأ العظيم: [ص ٨٥].

ولم أنقل في هذا البحث شيئًا مما هذى به البعض منعا لتكرار هذا الكلام الساقط السخيف، وحفظا لمكانة وقداسة القرآن أن تقاس بمثل هذا الخلط والكلام المقزز، ومن أراد الاطلاع على مثل هذا الكلام البارد المضحك السخيف فعليه بكتب الجاحظ، وإعجاز القرآن للرافعي، وتفسير الطبري، ولكن هذا الفريق سرعان ما تخاذل، وافتضح أمره، وانقطعت أنفاسه، وظهر عجزه.

مما سبق يستبين لنا أن القرآن هو الكتاب الوحيد الذي تحدى الله به العرب، وأعجز بلغاءهم، وقطع ألسنتهم عن محاكاته، أو الإتيان بأقصر سورة منه، وسجل عليهم الخزي أبد الدهر، فلم يفعلوا - ولن يفعلوا - وبطلت حجتهم، وظهر أمر الله.

## المبحث الثاني

## دلائل الإعجاز في آيات التحدي

### تمهيد

زعم المشركون أن باستطاعتهم أن يأتوا بمثل القرآن الكريم، وزعموا أن النبي ﷺ قد اختلقه- مع ما هم عليه من الأنفة والحمية - فتحداهم الله أن يأتوا بمثله وقرعهم بالعجز عن الإتيان بها فيه من الآيات التي تبين أنه بلغتهم ومن جنس كلامهم، فطالبهم أن يأتوا بمثله أو بمثل عشر سور منه، أو بمثل سورة منه وتمر عليهم السنوات وتزداد الآيات وهم على عجزهم دائمون، وتعددت آيات التحدي في القرآن الكريم، وتنوعت في مقدار التحدي بمثله أو بمثل سورة أو عشر في خمس سور مكية وواحدة مدنية، فطالت فترة التحدي والتقريع واستمرت في العهد المكي والمدني، وما ذلك إلا ليحصل الشمول في معنى التحدي، وليتمثل فيها الأسلوب التربوي- الذى عرف حديثا - لأن هذه تتساوى وقدرات القوم العقلية، ومستواهم الثقافي، وتراعى الفروق الفردية بينهم، وما وقع فيها من تدرج في التحدي إنما كان مراعاة للمراحل التعليمية التي تحدي بها القوم(١).

لذلك لم يسد القرآن على خصومه باب المعارضة، بل فتحه على مصراعيه، وأزال كل عقبة وتدرج بهم، ودعاهم أفرادا وجماعات، وأباح لهم الاستعانة بمن شاءوا حتى الجن،

---

(١) في إعجاز القرآن الكريم: د/ محمد بركات حمدي، [ص ٢١]، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، ط.١، (١٩٨٣م).

وهو حينما يتحدى لا يقف منتظرا أن يفعلوا، بل يحسم الأمر حسما قاطعا، وهو تحد آخر بأنهم لن يستطيعوا الإتيان بمثله، وكأن هذا التحدي المركب صادر عمن تحدى ألف مرة، فأدرك عجزهم فأخبر أنهم لا يأتون بمثله وما ذلك إلا لأنه تنزيل من حكيم عليم[١].

وسنرى من خلال دراستنا لآيات التحدي أنها جاءت في مراحل متعددة ومطالب متنوعة بحسب المقامات والسياق والحالة التي كانوا عليها وقت تنزل هذه الآيات الكريمات.

وسنتناول في الصفحات التالية تفسير آيات التحدي تفسيرا تحليليا، ثم نقفيه ببيان منهج القرآن في التحدي بالقرآن، وأخيرا نعرض للمقارنة بين نظم هذه الآيات مجتمعة للوقوف على ما فيها من تشابه وتنوع، بحثًا عن أسرار هذا الاختلاف في الأسلوب، وذاك التنوع في التعبير القرآني، فإلى ذلك والله المستعان.

---

(١) خصائص القرآن المكي: د/ فهد الرومي، [ص ٩٣].

## المطلب الأول
## تفسير آيات التحدي في القرآن الكريم

### المرحلة الأولى من مراحل التحدي:

تتناول هذه المرحلة موقف كفار قريش من القرآن، فعندما أتاهم الرسول ﷺ اعترضوا عليه، وطالبوا أن يأتيهم بآية مادية خارقة، كما أتى موسى بذلك، فرد الله عليهم بأنهم ليسوا جادين ولا صادقين في طلبهم هذا، فقد كفروا بما أتى به موسى من آيات مادية، وكفروا بالتوراة كما كفروا بالقرآن، وقالوا عنهما سحران تظاهرا وتعاونا والتقيا، وليسا من عند الله، ونحن كافرون بكل منهما، وبما أنهم كافرون بالتوراة التي أوتيها موسى منكرون لنبوته فلماذا يطلبون أن يؤتى محمد ﷺ مثل ما أوتى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ هنا أمر الله رسوله ﷺ أن يطلب منهم أن يأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى من التوراة والقرآن ليتبعه ويهتدي به.

ولقد تكفلت الآيتان من سورة القصص ببيان هذه المرحلة من التحدي بالقرآن الكريم وهى أول آيات التحدي نزولًا على ما عده الزركشي في (برهانه)، وذكر أنه عليه استقرت الرواية من الثقات[١] وسورة ﴿ القَصَصِ ﴾ مكية[٢] وهي السورة الثامنة والأربعون في ترتيب النزول، قال تعالى: مناسبة الآيتين الكريمتين لما قبلها: ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [القَصَصِ: ٤٩-٥٠].

---

(١) البرهان: (١/ ١٩٣)، وانظر الإتقان: (١/ ٢٦).

(٢) نزلت سورة ﴿ القَصَصِ ﴾ بمكة أخرجه النحاس وابن الضريس وابن م دويه والبيهقي في «الدلائل» عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ينظر: «الدر المنثور للسيوطي»: (١٥/ ١١٩).

إن هذا الموطن يرتبط بالآية التي سبقته أيما ارتباط، حيث بين الله تعالى في الآية السابقة مباشرة بعض شبهات الكافرين، واقتراحاتهم المبنية على التعنت والعناد، وإجابة الحق تعالى عن هذه الشبه، ناسب أن يذكرهنا الحجة الدامغة الدالة على صدق النبي وصحة نبوته(١).

**سبب النزول:** روي أن أهل مكة بعثوا رهطا منهم إلى رؤساء اليهود في عيد لهم فسألوهم عن شأنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فقالوا: إنا نجده في التوراة بنعته وصفته فلما رجع الرهط وأخبروهم بما قالت اليهود، قالوا: ما أوتي محمد وموسى سحران تظاهرًا وتعاونًا بتصديق كل منهما الآخر(٢).

**التفسيروالبيان:**

قوله تعالى: ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ ﴾، أي: قل يا محمد إذ كفرتم يا معاشر المشركين بهذين الكتابين - التوراة والإنجيل - فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه ليكون ذلك عذرا لكم في الكفر إن كنتم صادقين في أنهما سحران(٣)، ومثل هذا الشرط أي إن تأتوا به أتبعه يأتي به من يدل بوضوح حجته؛ لأن الإتيان بما هو أهدى من الكتابين أمر بين الاستحالة، فيوسع دائرة الكلام للتبكيت والإلزام(٤)، فكان قوله: ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ﴾ تحديًا ظاهرًا؛ إذ إن الأمر هنا خرج عن حقيقته إلى معنى التعجيز قلت: وهذا من أساليب القرآن البليغة أن يأمر الله تعالى بشيء هو سبحانه يعلم أنهم لا يقدرون عليه، وهذا تنبيه على عجزهم عن الإتيان بمثله وفي معنى قوله: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ (وجهان):

---

(١) أفدت بعض عبارات المناسبة من تفسير مفاتيح الغيب: (٨/ ٦٠٦).

(٢) روح المعاني: (٢١/ ١٣٨).

(٣) تفسير القرطبي: (١/ ٢٥).

(٤) روح المعاني: (٢١/ ١٣٨).

الأول - أن المعنى: فإن لم يؤمنوا بما جئت به من الحجج التي تضمنها كتابك الذى جاءهم، فالاستجابة على ظاهرها؛ لأن الإيمان أمر يريد النبي حقيقة وقوعه منهم.

والثاني - فإن لم يفعلوا ما كلفتهم به من الإتيان بكتاب هو أهدى منهما، وإنما عبر عنه بالاستجابة؛ إيذانا بأنه ﷺ على كمال أمن من أمره، وكان أمره لهم بالإتيان بما ذكر دعاء لهم إلى أمر يريد وقوعه، ومعلوم أنهم لا يستجيبون لأن يأتوا بكتاب من عند الله، فأعلم أنه ليس لهم إلا اتباع هوى لا اتباع دليل[١].

والذي يتوجه عندي في ذلك أنهم خوطبوا بذلك لعجزهم الكلي عن الإتيان بكتاب أهدى من الكتب التي أنزلها الله تعالى، وهذا وجه من أوجه الإعجاز القرآني، وعلى هذا فقوله تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ جاء تحديًا ثانيًا؛ لأنه قرعهم بترك الاستجابة إلى ذلك.ثم زيف طريقتهم فقال: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ﴾ والاستفهام هنا إنكاري للنفي أي لا أضل ممن اتبع هواه[٢] وجعل الهدى من الله؛ لأنه وارد من العالم بكل شيء، فيكون معصوما من الخلل والخطأ[٣].

**من الأسرار التعبيرية في هذا الموطن الكريم:**

**المتأمل في هذا الموطن تتجلى له عدة تساؤلات ينبغي عليه الوقوف على أسرارها:**

**التساؤل الأول** - ما سر إيراد كلمة الشك ( إن ) مع امتناع صدقهم في قوله: ﴿ إن

(١) البحر المحيط: (٧/ ١٢٤).

(٢) تفسير أبي السعود: (٥/ ٢٣٦).

(٣) التحرير والتنوير: (٢٠/ ١١٤).

كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾؟والجواب: أن ذلك نوع تهكم بهم[١]، وذكر أبو حيان أن تعليق إتيانهم بشرط الصدق أمر متحقق متيقن أنه لا يكون، ولا يمكن صدقهم، كما أنه لا يمكن أن يأتوا بكتاب من عند الله يكون أهدى من الكتابين[٢]. قلت: ويظهر لي أن السر في ذلك هو أن صدقهم غير محتمل الوقوع، أي وإن كنتم صادقين في أن القرآن كلام بشر، وإنكم أتيتم بمثله، وفي ذلك إثارة لحماسهم إذ عرض بعدم صدقهم، فتتوفر دواعيهم على المعارضة.

**التساؤل الثاني** - كيف أمرهم بالإتيان بمثله، وما يأتون به لا يكون مثله؛ لأن ما يأتون به مفترى، والقرآن ليس بمفترى؟ والجواب من وجهين: الأول - أنه أراد به مثله في البلاغة والفصاحة، وإن كان مفترى، والثاني - أن معناه مفتريات كما أن القرآن مفترى في زعمكم واعتقادكم فيتماثلان[٣].

**التساؤل الثالث** - ما سر تقديم قوله: (مثله) على (مفتريات)؟ والجواب لأمرين: الأول - أن المماثلة هي المقصودة في التحدي لذاتها، وأما الافتراء فلا يتعلق به غرض يدور عليه شيء في مقام التحدي، وإنما ذكر على نهج المساهلة وإرخاء العنان، والثاني - أنه لو عكس الترتيب ربما توهم أن المراد المماثلة له في الافتراء، وهذا لا يصح[٤].

(١) تفسير أبي السعود: (٥/ ٢٣٦).

(٢) البحر المحيط: (٧/ ١٢٤).

(٣) غرائب آي التنزيل للرازي: [ص ١٣٤]، وينظر: فتح القدير: (٣/ ٤٣١).

(٤) روح المعاني: (١٢/ ٣٠، ٣١).

**التساؤل الرابع** - ما السر في إيراد كلمة الشك ( إن ) مع الجزم بعدم الاستجابة من جهة من يدعونه ﷺ؟، والجواب: لما في ذلك من التهكم بهم وتسجيل عليهم بكمال سخافة العقل[١].

**التساؤل الخامس** - ما سر التعبير بالاستجابة دون الإجابة؟ والجواب: أن فيه إيماء إلى أنه ﷺ على كمال الأمن من أمره وكأن أمره عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لهم بالإتيان بمثله دعاء لهم إلى أمر يريد وقوعه[٢]. قلت: ويظهر لي سر آخر مفاده: أن يستجيب فيه قبول لما دعي إليه، وليس كذلك يجيب لأنه قد يجيب بالمخالفة، وهذا من دقة ألفاظ القرآن ووضعه التعبير اللائق في موضعه المناسب، وعلى هذا فيحتمل أن يكون الكفار لم يقبلوا المعارضة لتعذرها، ويحتمل أن من يدعونه من دون الله لم يستجيبوا، ولم يعاونوا في المعارضة.

**التساؤل السادس** – ما السر في ترتيب الأمر بالعلم على مجرد عدم الاستجابة؟ والجواب: أن القوم ادعوا كون القرآن مفترى على الله تعالى، فقال: لو كان مفترى على الله لوجب أن يقدر الخلق على مثله، ولما لم يقدروا عليه ثبت أنه من عند الله[٣].

**التساؤل السابع** – لماذا عبر في قوله: «فهل أنتم مسلمون»؟ بالجملة الاسمية الدالة على دوام الفعل وثباته دون قوله: (فهل تسلمون)؟ والجواب: أن حالة الاستجابة تكسب اليقين بصحة الإسلام، فتقتضي تمكنه من النفوس، وذلك التمكن تدل عليه

---

(١) تفسير أبي السعود: (٤/ ١٩٢).

(٢) روح المعاني: (١٢/ ٣٣).

(٣) مفاتيح الغيب: (٦/ ٣٢٦).

الجملة الاسمية[١]، وثمة جواب آخر: وهو أن التعبير بقوله: «فهل أنتم مسلمون»؟ فيه إقناط لهم من أن يجيرهم آلهتهم من بأس الله – تعالى شأنه – [٢].

***المرحلة الخامسة من مراحل التحدي***

زعم الكفار– ظلما وعدوانا– أن محمدًا ﷺ قد تقول القرآن واختلقه من تلقاء نفسه، ونسبه إلى الله كذبا وافتراء رغم علمهم بدليل المشاهدة أنه هو الصادق الأمين، وأنه ما كان ليصدق الناس ويكذب على الله تعالى، إذ كيف يقدم على ذلك ثم يمهله ربه ويؤيده وينصره؟ وكان المناسب لو صدقوا في زعمهم أن يأخذه أخذ عزيز مقتدر، ورغم أن هذا أمر واضح جلي إلا أنهم زعموا هذا الزعم ليبرروا تكذيبهم له، وعدم إيمانهم به، ومن أجل ذلك بين الله تعالى بطلان زعمهم ورد شبهتهم الأثيمة، فتحداهم أن يأتوا بمثل هذا القرآن، وإذا كان النبي ﷺ قد تقول القرآن وافتراه فلن يعجز الكفار عن الإتيان بحديث مثله؛ لأنهم عرب، والنبي ﷺ عربي، والقرآن عربي، فإذا عجزوا عن الإتيان بحديث مثل القرآن فقد دل ذلك على أنهم كاذبون في دعواهم، ودل أيضا على أن محمدًا ﷺ لم يتقول القرآن، وأنه كلام الله تعالى أوحى به إليه، ولقد انفردت آيتان من سورة ﴿ الطُّورِ ﴾ المكية[٣] ببيان هذه المرحلة وتقريرها، حيث يقول تباركت أسماؤه: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴾ [الطُّورِ: ٣٣-٣٤].

***مناسبة الآيتين الكريمتين لما قبلهما:***

أنه تعالى لما أمر رسوله ﷺ بالتذكير إنذارا للكافرين، وتبشيرا للمؤمنين نافيا عنه

(١) التحرير والتنوير: (١٢/ ٢٢).

(٢) روح المعاني: (١٢/ ٣٣).

(٣) نزلت سورة ﴿ الطُّورِ ﴾ بمكة. أخرجه ابن الضريس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما، وأخرجه ابن مردويه عن عبد الله بن الزبير، ينظر: الدر المنثور: (٦/ ١١٦).

الكهانة والجنون، وأنكر عليهم مزاعمهم الباطلة في شأن الرسول ﷺ حكى عنهم في هاتين الآيتين الكريمتين بعضا آخر من أباطيلهم وافتراءاتهم، بأنه اختلق القرآن وافتراه من عند نفسه، ورد الله عليهم بالحجج الدامغة والبراهين الساطعة، مع إقامة الدليل على صدق رسالته.

***التفسير والبيان:***

التقول: تكلف القول، وإنما يستعمل في الكذب في غالب الأمر، يقال: قولتني ما لم أقل أي ادعيته علي، وتقول عليه: أي كذب عليه[1]، والمعنى: بل أيقولون اختلق القرآن من تلقاء نفسه وافتعله وافتراه؟ وقوله: ﴿ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ إشارة إلى أن كفرهم وتكذيبهم وعنادهم هو الذى حملهم على هذه المقالة النكراء، مع علمهم بأنه لا ريب فيه ولا فيما جاء به من عند الله تعالى.

ثم ألزم الحق تعالى المشركين الحجة فقال: ﴿ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَـٰدِقِينَ ﴾، أي: فليأتوا بكلام من تلقاء أنفسهم يشبه القرآن، واختلف في هذا الأمر، فقال البعض: إنه أمر تعجيز، يقول القائل لمن يدعى أمرًا أو فعلًا، ويكون غرضه إظهار عجزه، وقال آخرون: إن الأمر ههنا مبقى على حقيقته؛ لأنه لم يقل ائتوا مطلقًا، بل إنما قال: ائتوا إن كنتم صادقين، وعلى هذا التقدير يجب الإتيان به[2].

والذي أراه أن الأمر هنا للتعجيز لأنه تعالى علم عجزهم عنه وأنهم لا يقدرون

---

(١) نزلت سورة ﴿ الطُّورِ ﴾ بمكة. أخرجه ابن الضريس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما، وأخرجه ابن مردويه عن عبد الله بن الزبير، ينظر: الدر المنثور: (٦/ ١١٦).

(٢) الصحاح: (٥/ ١٨٠٦).

عليه، ثم تختم الآية بقوله: ﴿ إِن كَانُوا۟ صَـٰدِقِينَ ﴾ أي: إن كانوا صادقين في زعمهم أن محمدا افترى القرآن؛ إذ فيهم كثير ممن تحدوا، وطلب منهم أن يعارضوا القرآن ويأتوا بمثله فصحاء بلغاء فعجزوا عن ذلك[1].

والتعبير بقوله: ﴿ إِن كَانُوا۟ صَـٰدِقِينَ ﴾ يدل على أن امتناعهم عن الإقدام على معارضته حجة قاطعة بأنهم كاذبون في زعمهم، وهذا إلهاب لعزيمتهم ليأتوا بكلام مثل القرآن ليكون عدم إتيانهم بمثله، أو إخفاقهم في معارضته حجة على كذبهم[2].

**المرحلة السادسة من مراحل التحدي:**

إن العهد المدني كان بحاجة لتأكيد أمر التحدي من جديد، خاصة في مواجهة اليهود وقبائل العرب الذين وصل إليهم الإسلام في ظل الانفتاح الذي شهده الإسلام في المدينة، فاحتاج الأمر تأكيد التحدي من جديد لسببين:

**الأول** – ليعلم الخلق أنه ما زال قائمًا، فأكدته أول سورة مدنية، وكان مقداره مقدار أدنى ما تحداهم به في العهد المكي وهو ﴿ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ ﴾ في سورة ﴿ يُونُسَ ﴾.

**الثاني** – لقطع دابر وساوس الشيطان ونزعات أهل الباطل المرجفين، ولكي لا يقال: إن محمدا تحدى أهل مكة والأمية فاشية فيهم، ولا علم لهم بعلوم الأديان وبالأنبياء والكتب، ولو أنه تحدى غيرهم لأمكنهم أن يأتوا بمثل القرآن؛ لذلك كرر التحدي في المرحلة المدنية وبين ظهراني أهل الكتاب، وسجل العجز المطلق لكل المخلوقين إلى يوم القيامة، ولا زالت أصداء هذا التحدي مستمرة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها،

---

(١) انظر: حاشية الخفاجي على تفسير البيضاوي: (٨/ ١٠٦) وتفسير القرطبي: (١٧/ ٧٣).

(٢) التحرير والتنوير: (٢٧/ ٦٧).

وستبقى أصداؤه في أذن الزمن على مر العصور؛ ليبرهن على خلود الرسالة وصدق صاحبها[١] من هنا ختم الحق تعالى آيات التحدي بآيتين وردتا في سورة ﴿ البَقَرَة ﴾[٢]، وأعلن تحديه الصريح للعالم كله إنسه وجنه أن يأتوا بسورة من مثله، فوقف الخلق أجمعون مبهوتين عاجزين، وثبت إعجاز القرآن بيقين.

وسوف نقف - بعون الله وقوته - وقفات مع هاتين الآيتين، ننعم النظر فيهما، ونرتوي من حياضهما، ونحلق في سمائهما، ونقتطف من ثمار هما، ونحيا في رياضهما، فإلى ذلك والله المستعان، قال تعالى.

**صلة الآيتين الكريمتين بما قبلهما:**

هاتان الآيتان الكريمتان تتآخى مع سوابقها وترتبط بها أيما ارتباط، يبرز ذلك العلامة الزمخشرى فيقول: إنه تعالى لما احتج عليهم بما يثبت الوحدانية، ويبطل الإشراك ويهدمه، وعلم الطريق إلى إثبات ذلك وتصحيحه، عطف على ذلك ما هو الحجة على إثبات نبوة محمد ﷺ، وما يدحض الشبهة في كون القرآن معجزة، وأراهم كيف يتعرفون أهو من عند الله، أم هو من عند أنفسهم كما يدعون، بإرشادهم إلى أن يحزروا أنفسهم، ويذوقوا طباعهم وهم أبناء جنسه[٣].

**التفسير والبيان:**

اختلف العلماء فيمن عنى بهذا الخطاب على ثلاثة أقوال: أحدها - أنه عام في

---

(١) مباحث في إعجاز القرآن لمصطفى مسلم: [ص ٣٨]، ط. الثانية، دار المسلم للنشر والتوزيع، (١٤١٦هـ).

(٢) أخرج أبو داود في الناسخ والمنسوخ عن عكرمة قال: أول سورة نزلت بالمدينة سورة ﴿ البَقَرَة ﴾، ينظر: الدر المنثور: (١/ ١٧).

(٣) الكشاف: (١/ ٤٧).

جميع الناس، وهو قول ابن عباس، والثاني – أنه خطاب لليهود دون غيرهم. قاله الحسن ومجاهد؛ لما روى أن اليهود قالوا: هذا الذى يأتينا به محمد لا يشبه الوحي، وإنا لفي شك منه فنزلت الآية(١)، الثالث – أنه خطاب للمنافقين، قاله مقاتل(٢).

والراجح في ذلك أن الخطاب لأهل اللسان العربي، وهذا الذي يفهم من السياق إذ التحدي وقع بنظم القرآن، فلا يتحدى غير العرب بما لا يعرفون.

وتصدير الكلام بكلمة الشك ( إن ) للإيذان بأن من شأن هذا التنزيل أن لا يرتاب فيه؛ لأن الحق فيه ظاهربذاته، ويتلألأ نوره في كل آية من آياته(٣) ويجوز أن يكون للتوبيخ، وتصوير أنه لا ينبغي أن يثبت إلا على سبيل الفرض لاشتمال المقام على ما يزيله، أو لتغليب من لا قطع بارتيابهم على من سواهم، أو لأن البعض لما كان مرتابًا، والبعض الآخر غير مرتاب جعل الجميع كأنه لا قطع بارتيابهم ولا بعدمه(٤)، ويجوز أن يكون إشعارًا بأن شكهم مشكوك الوقوع لعدم مقتضيه من جهة التنزيل الذى بلغ شأو إعجازه قدرًا لا يقادر في الفصاحة والبيان(٥).

وإنما عبر عن اعتقادهم في حق التنزيل بالريب مع جزمهم بأنه من كلام البشر كما يعرب عنه قوله تعالى: ﴿ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ ﴾؛ إما لأن قصارى ما يمكن صدوره عنهم وإن كانوا في غاية ما يكون من المكابرة والعناد هو الارتياب في شأنه، والجزم خارج عن دائرة الاحتمال، وإما لأن كمال وضوح دلائل إعجازه قد جعل جزمهم بمنزلة الريب(٦).

(١) البحر المحيط: (١/ ١٠٢).

(٢) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي: (١/ ٤٧)، المكتب الإسلامي – بيروت، ط.٣، (١٤٠٤هـ).

(٣) تفسير المنار: (١/ ١٦٠).

(٤) روح المعاني: (١/ ٣٠٨).

(٥) ضياء الفرقان في تفسير القرآن: أ. د/ جودة المهدي (١/ ٢٧٨) (١٤١٣هـ – ١٩٩٣م).

(٦) محاسن التأويل: (١/ ٧١).

والريب: الشك، وليس كونهم في ريب منه ارتيابهم في استقامة معانيه وصحة أحكامه، بل في نفس كونه وحيًا منزلًا من عند الله عَزَّوَجَلَّ [(١)] وإنما آثر التعبير بالتنزيل المنبئ عن التدرج على مطلق الإنزال؛ لتذكير منشأ ارتيابهم؛ إذ قالوا: ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ﴾[(٢)] وبناء التحدي عليه من قبيل إرخاء العنان للخصم لإلزامه الحجة وقد ذهب إلى ذلك الزمخشري والبيضاوي وأبو السعود[(٣)].

ورده الآلوسي من منطلق أن التضعيف ههنا ليس دالا على نزوله منجما؛ لأن ذلك قول بدلالة التضعيف فيه على التكثير، وهو إنما يكون في الأفعال التي تكون متعدية قبل التضعيف، وليس منها (نزل)، كما أنه لو أفاد التنجيم لأدى إلى منافاة العجز للصدر في مثل قوله: ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ﴾، وإما أن يكون التضعيف ههنا للنقل، وهو المرادف للهمزة[(٤)].

والأمر في قوله سبحانه: ﴿ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ ﴾ للتعجيز، والفاء فيه لسببية الارتياب للأمر، والمراد من الإتيان ههنا الفعل والتعاطي، أي فافعلوا وهاتوا [(٥)] وقيل: إن الأمر للتوبيخ، أو التهديد، أو التبكيت، أو المساهلة وإرخاء العنان، أو التهكم، أو التخجيل وغير ذلك[(٦)] وكلها أقوال مقصودة من الأمر بالتحدي لا تنافي بينها.

---

(١) تفسير أبي السعود: (١/ ٦٣، ٦٤).

(٢) [الفُرْقَان: ٣٢].

(٣) ينظر: الكشاف: (١/ ٤٧)، أنوار التنزيل: (١/ ٣٢)، تفسير أبي السعود: (١/ ٦٤).

(٤) روح المعاني: (١/ ٣٠٩).

(٥) الإتقان في علوم القرآن: (١/ ١٥٠).

(٦) ينظر: الكشاف: (١/ ٤٨)، معالم التنزيل: (١/ ٧٢)، مجمع البيان: (١١/ ١١٠)، تفسير القرطبي: (١/ ٢٣٢).

**واختلف المفسرون في عود الضمير في قوله: ﴿ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ على وجهين:**

**أحدهما** - أنه عائد إلى ما نزلنا وهو القرآن الكريم، وهذا رأي جمهور المفسرين[١]، والمعنى على هذا القول، أي: فأتوا بمثل نظمه[٢]. قال ابن عطية: قال الأكثر: من مثل نظمه ووصفه وفصاحة معانيه التي يعرفونها، ولا يعجزهم إلا التأليف الذي خص به القرآن، وبه وقع الإعجاز على قول حذاق أهل النظر[٣].

**القول الثاني** - إن الهاء تعود على (عبدنا )، وتعددت الأقوال في وجوه المماثلة بمحمد ﷺ على النحو التالي: البشرية[٤]، والأمية[٥]و عدم إحسان الخط والكتابة[٦]، والفصاحة[٧] ما وجهه المشركون إلى النبي ﷺ من اتهامات مثل السحر والشعر والكهانة والجنون[٨]، وعدم الرحلة من بلد إلى غيره من الأمصار[٩].

والناظر في هذه التوجيهات يلحظ وجاهتها، ومدى حرص قائليها على تلمس أسرار التعبير القرآني، وهي جميعها تلتقي على مائدة واحدة، ومن ثم فلا مانع من الجمع بينها قاطبة، وإن كان أحراها بالقبول أولها وثانيها وهو ما ذهب إليهما جمهور المفسرين، واللهُ أعلم.

---

(١) ينظر: جامع البيان: (١/ ١٦٥)، تفسير ابن كثير: (١/ ٥٩)، تفسير القرطبي: (١/ ٢٥٠).

(٢) البرهان: (٢/ ١٠٨).

(٣) المحرر الوجيز: (١/ ١٩٤).

(٤) ينظر: جامع البيان: (١/ ١٧٤)، البحر المحيط: (١/ ١٠٥)، فتح القدير: (١/ ١١٠).

(٥) ينظر: معالم التنزيل: (١/ ٧٢)، مفاتيح الغيب: (٢/ ١١٨)، تفسير القرطبي: (١/ ٢٣٢).

(٦) معالم التنزيل: (١/ ٧٢)، وانظر مجمع البيان: (١/ ٦٢).

(٧) الكشاف: (٤/ ٢٥).

(٨) ينظر: المحرر الوجيز: (١/ ٢٠٢)، البحر المحيط: (١/ ١٠٥).

(٩) ينظر: البحر المحيط: (١/ ١٠٥)، روح المعاني: (٢٧/ ٣٧).

وعلى ذلك.. فالمعنى: فأتوا بسورة من رجل أميّ مثل الرسول ﷺ من كونه بشرًا لا يحسن الكتابة، ولم يجالس أو يدارس العلماء أو يجالس الحكماء، ولم يؤثر عنه ذلك بحال من الأحوال[١].

**والذي أراه راجحًا - بحمد الله - في هذا المقام أنه يعود على القرآن لعدة وجوه:**

**أولا-** أن ذلك مطابق لسائر الآيات الواردة في باب التحدي لاسيما ما جاء في سورة ﴿ يُونُس ﴾: ﴿ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ ﴾[٢].

**ثانيا-** أن القرآن جدير بسلامة الترتيب والوقوع على أصح الأساليب، والكلام مع ردّ الضمير إلى المنزل أحسن ترتيبا؛ وذلك أن الحديث في المنزل لا في المنزل عليه، وهو مسوق إليه ومربوط به، فحقه أن لا ينفك عنه برد الضمير إلى غيره. ألا ترى أن المعنى: وإن ارتبتم في أنّ القرآن منزل من عند الله، فهاتوا أنتم نبذًا مما يماثله ويجانسه. وقضية الترتيب لو كان الضمير مردودًا إلى رسول الله ﷺ أن يقال: وإن ارتبتم في أنّ محمدًا مُنزل عليه فهاتوا قرآنا من مثله. ولأنهم إذا خوطبوا جميعًا - وهم الجم الغفير - بأن يأتوا بطائفة يسيرة من جنس ما أتى به واحد منهم، كان أبلغ في التحدي من أن يقال لهم: ليأتي واحد آخر بنحو ما أتى به هذا الواحد[٣].

**ثالثًا-** أن عود الضمير على القرآن يقتضي كونهم عاجزين عن الإتيان بمثله سواء اجتمعوا أو انفردوا، وسواء كانوا أميين، أو كانوا عالمين، أما عود الضمير على محمد ﷺ

---

(١) ينظر: بحر العلوم: (١/ ١٠٢)، فتح القدير: (١/ ٥٢).

(٢) مفاتيح الغيب: (١/ ٣٤٩).

(٣) الكشاف: (١/ ٢٤٢).

فذلك لا يقتضي إلا كون أحدهم من الأميين عاجزين عنه؛ لأنه لا يكون مثل محمد إلا الشخص الواحد الأمي، فأما لو اجتمعوا وكانوا قارئين لم يكونوا مثل محمد ﷺ؛ لأن الجماعة لا تماثل الواحد، والقارئ لا يكون مثل الأمي، فالإعجاز على الوجه الأول أقوى[1].

**رابعًا** - في صرف الضمير إلى القرآن يقرر كون القرآن معجزا لكمال حاله في الفصاحة، وأما لو كان الضمير مصروفًا إلى محمد ﷺ فيقرر حال النبي في كونه أميًا بعيدًا عن العلم، وهذا وإن كان معجزًا أيضًا إلا أنه يقرر نوعًا من النقصان في حقه ﷺ ومن هنا فالأول أولى.

**خامسًا** - لو كان الضمير مصروفًا إلى محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لكان ذلك يوهم أن صدور مثل القرآن ممن لم يكن مثل محمد في كونه أميا ممكن، أي أنه ممكن لغير الأمي أن يأتي بمثله، ولو صرفنا الضمير إلى القرآن لدل ذلك على أن صدور مثل القرآن من الأمي وغير الأمي ممتنع فكان هذا أولى[2].

كما رجح بعض المفسرين القول الثاني وهو عود الضمير إلى العبد؛ لاشتماله على معنى مستبدع مستجد، وبأن الكلام مسوق للمنزل عليه؛ إذ التوحيد والتصديق بالنبوة توأم، فالمقصود إثبات النبوة، فلا يلزم من الافتتاح بذكر ﴿ مِّمَّا نَزَّلْنَا ﴾ أن يكون الكلام مسوقا للمنزل، والتحدي على ذلك أبلغ؛ لأن المعنى: اجتمعوا كلكم وانظروا هل يتيسر

---

(١) تفسير ابن كثير: (١/ ٥٩).

(٢) مفاتيح الغيب: (١/ ٣٥٠)، وينظر: روح المعاني: (١/ ١٣٠).

لكم الإتيان بسورة ممن لم يمارس الكتب ولم يدارس العلوم؟[(١)(٢)].

قلت: ومهما يكن فحمل الضمير على المنزل أولى من حمله على المنزل عليه؛ لتتفق آيات القرآن وتلتقي على معنى واحد، وهي آيات التحدي الواردة في سور: ﴿ الإسراء ﴾ و﴿ الطور ﴾ و﴿ يونس ﴾ و﴿ هود ﴾، وفي كل تلك يريد من المثل: القرآن بداهة لا سيدنا محمد ﷺ وكذلك هنا، وهذا ما نميل إليه لانسجام آيات القرآن وترابط بعضها ببعض في سياق معجز.

واختلف في مدلول كلمة ﴿ ٱدۡعُواْ ﴾ فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنها بمعنى: استصرخوا[(٣)]، وعن الفراء أنها بمعنى: استعينوا[(٤)]، وروي عن الطبري أنها بمعنى: استنصروا[(٥)]، وجمع الزمخشري بينها وبين الكلمة الأخيرة في آية ﴿ الإسراء ﴾ ففسرها باستظهروا[(٦)]، وقيل معناها: استغيثوا، وقيل: استحضروا [(٧)]، وكلها معان متقاربة تؤول إلى مدلول واحد فلا تنافي بينها.

والمراد من الشهداء في قوله تعالى: ﴿ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾إما الأوثان التي ادعوا ألوهيتها، فكأنه قيل لهم: إن كانت آلهتكم مستحقة للعبادة؛ لأنها تنفع وتضر

---

(١) روح المعاني: (١/ ٣١١)، وينظر: تفسير المنار: (١/ ١٦٠) مع ملاحظة أن الإمام الآلوسي لم يرتض هذا القول.

(٢) هناك أقوال أخرى في «عود الضمير» من مثله أضربت عنها صفحًا لشدة ضعفها، وبعدها عن السياق.

(٣) المحرر الوجيز: (١/ ٢٠٢).

(٤) ينظر: تفسير القرطبي: (١/ ٢٣٢)، معالم التنزيل للبغوي: (١/ ٧٢)، تفسير ابن كثير: (١/ ٥٩).

(٥) جامع البيان: (١/ ٣٧٧).

(٦) الكشاف: (١/ ٢٤٦).

(٧) ذكر ذلك أبو حيان في البحر المحيط: (١/ ١٠٥)، وعزاهما إلى أبي الهيثم مالك بن التيهان الأنصاري.

فقد دفعتم في منازعة الرسول ﷺ إلى فاقة شديدة وحاجة عظيمة تستدعي التخلص عنها، فتعجلوا الاستعانة بآلهتكم، وإلا فاعلموا أنكم مبطلون في ادعاء كونها آلهة من جهة، وفي كونها تنفع وتضر من جهة أخرى، ومن ثم يثبت بالمحاجة بطلان ألوهيتها، وإثبات ما أنكروه من إعجاز القرآن، وإما أن يكون المراد من شهدائهم كبراؤهم في الكفر ورؤساؤهم في الضلال، والمعنى: ادعوا أكابركم ليعينوكم على المعارضة، وليحكموا لكم وعليكم فيما يمكن ويتعذر(١).

والأولى حمله على الأكابر؛ وذلك لأن لفظ (الشهداء) لا يطلق ظاهرًا إلا على من يصح أن يشاهد ويشهد، فيتحمل بالمشاهدة، ويؤدى الشهادة، وذلك لا يتحقق إلا في حق رؤسائهم، أما إذا حملناه على الأوثان فيلزم، المجاز في إطلاق لفظ (الشهداء) عليها، أو يقال: وادعوا من تزعمون أنهم شهداؤكم، والإضمار خلاف الأصل(٢).

كما رفض الألوسي أن يكون المراد بالشهداء الآلهة الباطلة؛ لأن الأمر بدعاء الأصنام لا يكون إلا تهكما، ولو قيل: ادعوا الأصنام، ولا تدعوا الله ولا تستظهروا به، لانقلب الأمر عن التهكم إلى الامتحان؛ إذ لا دخل لإخراج الله عن الدعاء في التهكم. وفيه أن أي تهكم وتحميق أقوى من أن يقال لهم: استعينوا بالجماد، ولا تلتفتوا نحو رب العباد(٣).

وفي أمرهم أن يستظهروا بالجماد في معارضة القرآن العزيز غاية التبكيت والتهكم بهم ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي من دون أوليائه يعني فصحاء العرب ووجوه المشاهد ليشهدوا

---

(١) مفاتيح الغيب: (١/ ٣٥٠).

(٢) المرجع السابق: (١/ ٣٥٠).

(٣) روح المعاني: (١/ ١٩٧).

لكم أن ما أتيتم به مثله؛ إذ العاقل لا يرتضي لنفسه أن يشهد بصحة ما اتضح فساده وبان اختلاله [(١)] وأولى الوجوه بتفسير الآية أن يكون المعنى: واستنصروا على أن تأتوا بسورة من مثله أعوانكم وشُهداءكم الذين يُشاهدونكم ويعاونونكم على تكذيبكم الله ورسوله، ويظاهرونكم على كفركم ونفاقكم، إن كنتم مُحقّين في جحودكم أنّ ما جاءكم به محمد ﷺ اختلاق وافتراء، لتمتحنوا أنفسكم وغيرَكم، هل تقدرون على أن تأتوا بسورة من مثله، فيقدرَ محمد على أن يأتي بجميعه من قِبَل نفسه اختلاقًا[(٢)].

وقوله: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ تكرير للتحدي، وإثارة لحماسهم؛ إذ عرض بعدم صدقهم، فتتوفر دواعيهم على المعارضة، أي إن كنتم صادقين بزعمكم في أنه كلام البشر، أو في أنكم تقدرون على معارضته فأتوا وادعوا[(٣)].

ثم يأتي الحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالنتيجة قبل أن يتم التحدي؛ لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يعلم أنهم لن يفعلوا ولن يستطيعوا. فقوله سبحانه: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ ﴾حكم عليهم بالفشل وقت نزول القرآن، وبعد نزول القرآن إلى يوم القيامة؛ لأن الله لا يخفى عن علمه شيء فهو بكل شيء عليم، فـ(لن) لنفي التأبيد في المستقبل، أي: ولن تفعلوا ذلك أبدًا[(٤)].

وهذه الآية إعجاز بالغيب، قال صاحب الكشاف: فإن قلت: من أين لك أنه إخبار بالغيب على ما هو به حتى يكون معجزة؟ قلت: لأنهم لو عارضوه بشيء لم

---

(١) أنوار التنزيل: (١/ ٣٣).

(٢) جامع البيان: (١/ ٣٧٧).

(٣) روح المعاني: (١/ ٣١٥).

(٤) ينظر: تفسير الإمام الشعرواي: (١/ ٢٠٠)، أخبار اليوم بدون طبعة.

يمتنع أن يتواصفه الناس ويتناقلوه؛ إذ خفاء مثله فيما عليه مبنى العادة محال، لاسيما والطاعنون فيه أكثف عددًا من الذابين عنه، فحين لم ينقل علم أنه إخبار بالغيب على ما هو به فكان معجزة.

وتصدير الآية بـ (إن) التي هي للشك مع اقتضاء المقام لإذا التي هي للتحقق؛ لما أن القائل هو الحق تعالى العليم بعجزهم، ولذا نفى إتيانهم معترضا بين الشرط وجوابه، إما تهكما بهم، أو خطابا لهم على حسب زعمهم وحسبانهم[1] أو لأن القصد إظهار هذا الشرط في صورة النادر مبالغة في توفير دواعيهم على المعارضة بطريق الملاينة والتحريض واستقصاء لهم في إمكانها، ومجادلة للخصم بالتي هي أحسن، حتى إذا جاء للحق، وأنصف من نفسه، يرتقي معه في درجات الجدل؛ ولذلك جاء بعده ﴿وَلَن تَفۡعَلُواْ﴾ كأن المتحدى يتدبر في شأنهم، ويزن أمرهم فيقول: أولًا ائتوا بسورة، ثم يقول: قدروا أنكم لا تستطيعون الإتيان بمثله، وأعدوا لهاته الحالة مخلصا منها، ثم يقول: ها قد أيقنت وأيقنتم أنكم لا تستطيعون الإتيان بمثله، مع ما في هذا من توفير دواعيهم على المعارضة بطريق المخاشنة والتحذير[2].

ومن هنا تتجلى بلاغة النظم القرآني في استخدامه لأدوات الشرط، ووضع كل واحد منها موضع الأخرى لأسرار بلاغية عظيمة كما رأينا جليًّا في هذا الموضع.

وقوله: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ﴾ جواب للشرط على أن اتقاء النار كناية عن الاحتراز من العِناد، إذ بذلك يتحقق تسبُّبه عنه وترتُّبه عليه، كأنه قيل: فإذا عجَزتم عن الإتيان بمثله كما هو المقرر، فاحترزوا من إنكار كونِه منزّلًا من عند الله سبحانه، فإنه مستوجِب للعقاب بالنار، لكنْ أوثر عليه الكناية المذكورة المبنية على تصوير العناد بصورة النار،

---

(١) مفاتيح الغيب: (١/ ٣٥٢).

(٢) التحرير والتنوير: (١/ ٣٤٢).

وجُعل الاتصافُ به عينَ الملابسة بها للمبالغة في تهويل شأنه، وتفظيع أمره، وإظهارِ كمال العناية بتحذير المخاطبين منه، وتنفيرهم عنه(١).

**من الأسرار التعبيرية:**

ولقد حوى هذا الموطن الكريم عدة أسرار تعبيرية يجلي البحث طرفا منها في ثوب السؤال والجواب كما يلي:

**التساؤل الأول** - لم آثر التعبير بقوله: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ ﴾ على نحو «وإن ارتبتم»؟ والجواب للمبالغة في تنزيه ساحة التنزيل عن شائبة وقوع الريب فيه، وللإشعار بأن ملابسة الريب لهم لا له؛ إذ هو بمعزل عنه، كما قال تعالى: ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ فالمفروض ههنا هو كونهم في الريب لا كون الريب فيه تعالى قائله(٢).

**التساؤل الثاني** - ما سر التنكير في قوله: ﴿ رَيْبٍ ﴾؟ والجواب: للإشعار بأن حقه - إن كان - أن يكون ضعيفًا قليلًا لسطوع ما يدفعه وقوة ما يزيله(٣).

**التساؤل الثالث** - ما سر ذكره ﷺ بعنوان العبودية مع الإضافة إلى ضمير الجلالة؟ والجواب: للتنبيه على عظم قدره، واختصاصه به، والانقياد لأوامر الله تعالى، وفي ذلك غاية التشريف والتنويه بقدره ما لا يخفى.

**التساؤل الرابع** - لم عدل عن قوله: ﴿ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾؟ والجواب: إن سر العدول عن ذلك هو التفخيم للمنزل والمنزل عليه، والتعظيم التام رعاية لرفعة شأنه ﷺ(٤).

**التساؤل الخامس** - لم وضع الإظهار موضع الضمير في قوله﴿ مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾؟

---

(١) تفسير أبي السعود: (١/ ٨٥).

(٢) ضياء الفرقان: (١/ ٢٧٨).

(٣) روح المعاني: (١/ ٣٠٨).

(٤) ينظر: المرجع السابق، ومحاسن التأويل: (١/ ٧١).

والجواب: إما لإدخال الروع وتربية المهابة، أو للإيذان بكمال سخافة عقولهم، حيث آثروا على عبادة من له الألوهية الجامعة عبادة من لا أحقر منه[١].

**التساؤل السادس** - لم قال تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا ﴾ ولم يقل (فإن لم تأتوا به)؟ والجواب: لأن هذا أخصر من أن يقال: فإن لم تأتوا بسورة من مثله، ولن تأتوا بسورة من مثله، وفيه إيذان بأن المقصود بالتكليف إيقاع نفس الفعل المأمور به لإظهار عجزهم عنه لا تحصيل المفعول ضرورة استحالته، وقيل: إن ذلك من باب ذكر اللازم وإرادة الملزوم لما بينهما من التلازم المصحح للانتقال بمعونة قرائن الحال، أو على طريقة التعبير عن الأسماء الظاهرة بالضمائر حذرا من التكرير[٢]، كما أن في اختيار هذه اللفظة ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا ﴾؛ دفعًا للسآمة والملل، وتنشيطا للسامع، بذكر لفظ جديد، مع إفادة المعنى السديد[٣].

ومن هنا تبرز دقة القرآن في تخيره للألفاظ والأدوات التي تؤدى معانيه خير أداء مما يقصر عنه جميع الألفاظ والأدوات، فألفاظ هذا القرآن وحروفه قد أوثرت على غيرها لسر كامن فيها، ولو وضعنا بدل هذه اللفظة أو الحرف شيئًا آخر، فإنه لن يفي بالغرض، ولن يظهر المعنى ويؤديه تمام الأداء، والله أعلم.

**التساؤل السابع** - لم جاءت النار ههنا معرفة، ومنكرة في سورة (التحريم)؟، والجواب: أن المنكر في سورة التحريم نزل أولًا، فسمعوه بصفته، فلما نزل هذا بعد جاء معرفًا معهودًا، وجعلت صفته صلة وكون الصفة كذلك، والخطب فيها هين؛ لما أن المخاطب هناك المؤمنون، وظاهر أنهم سمعوا ذلك من النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ[٤].

---

(١) روح المعاني: (١/ ٣٠٨).

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب: (١/ ٣٥٢).

(٣) حاشية القونوي على تفسير البيضاوي: (١/ ١٣٤).

(٤) تفسير أبي السعود: (١/ ٨٥).

**التساؤل الثامن** - ما سر تقديم (الناس على الحجارة)؟ والجواب: قدم الناس على الحجارة؛ لأنهم العقلاء الذين يدركون الآلام، أو لكونهم أكثر إيقادا للنار من الجماد لما فيهم من الجلود واللحوم والعظام والشعور، أو لأن ذلك أعظم في التخويف، فإنك إذا رأيت إنسانًا يحرق، اقشعر بدنك وطاش لبك، بخلاف الحجر[١].

**التساؤل التاسع** - لم وضع الظاهر موضع الضمير في قوله: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ﴾؟، والجواب: أن ذلك لذمهم وتعليل الحكم بكفرهم[٢].

---

(١) البحر المحيط: (١/ ٢٥١).

(٢) روح المعاني: (١/ ٣١٩).



## المطلب الثاني
## منهج القرآن في التحدي بالقرآن

لقد رسم لنا القرآن الكريم منهجًا واضحًا في تحدي الكافرين تمثل في القضايا التالية:

**أولًا** - طول فترة التحدي، حيث شملت آيات القرآن المكي والمدني، فهو في سور: ﴿ القصص ﴾، و﴿ الإسراء ﴾، و﴿ يونس ﴾، و﴿ هود ﴾، و﴿ الطور ﴾، وكلها مكية أي في مرحلة ضعف المسلمين وقلة عددهم وفى سورة ﴿ البقرة ﴾ المدنية، وهذا أبلغ أنواع التحدي، أن تتحدى الكفار وليس معك أحد إلا الله تعالى، وفي هذا رد على بعض الشاكين في كتاب الله تعالى والذين يروجون لفكرة أن الإسلام انتشر بالقوة، وأن محمدًا ﷺ فرض القرآن بالإكراه.

**ثانيًا** - لقد تمثل التحدي في كل القرآن قليله وكثيره، فكان في سورة وآية وحديث وعشر سور مفتريات ولم ينحصر في زاوية واحدة.

**ثالثًا** - التدرج في التحدي،حيث بدأ التحدي بالقرآن كله، ثم بعشر سور مثله مفتريات، ثم بحديث مثله، ثم بسورة من مثله وقد استخدم هذا التدرج حتى لا يبقى لهم حجة يحتجون بها، ولذلك عرض عليهم كل شيء قليله وكثيره، إلا أنهم عجزوا في جميع المحاولات فثبت عجزهم وثبت إعجاز القرآن.

**رابعًا** - الدليل على التدرج طلبهم المماثلة وبعض المماثلة ﴿مِّثْلِهِۦ﴾ و﴿ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ فكلمة ﴿مِّثْلِهِۦ﴾ وردت في كل آيات التحدي إلا في آية واحدة، فليس المطلوب الإتيان بنفس القرآن في معانيه وأخباره، ولكن المطلوب الإتيان بمثله في فصاحته وبلاغته وأساليبه، أما قوله ﴿ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ فهو طلبهم لبعض المماثلة مع القرآن في بيانه، وهو بهذا آخر مراتب التدرج وأقل درجة مما تقدم ومع ذلك عجزوا.

**خامسًا** - أعطاهم القرآن مهلة يفكرون بها طويلا، وطلب منهم أن يستعينوا بمن شاءوا إنسًا وجنًا حتى لا يبقى لهم عذر؛ لأنهم لو منعوا من الاستعانة بالآخرين لقالوا: لو اتحدنا لانتصرنا ولجئنا بمثل القرآن، إلا أنهم لما سمح لهم بأن يستعينوا بمن شاءوا ثم فشلوا وعجزوا لم يبق لهم عذر أو حجة يحتجون بها، فهزيمتهم وفشلهم وهم في صف واحد أقوى من هزيمتهم وحدهم، وهذا ما قرره القرآن والهدف من ذلك كله هو إثبات عجزهم عن المعارضة، والشهادة من الجميع على عجز الجميع، وعجزهم دليل على إثبات الدعوى، وهو أن القرآن كلام الله تعالى.

**سادسًا** - كان يسبق آية التحدي الحديث عن تشكيك الكافرين في القرآن، وزعمهم أنه ليس كلام الله، وأن محمدًا ﷺ افتراه واختلقه، وفى هذا إشارة إلى ما دفعهم ويدفعهم إلى موقفهم من القرآن الكريم، فليس لهم مستند من الحقيقة، بل هي محض افتراءات بسبب ما تنطوي عليه قلوبهم من الحقد والبغض على الدعوة الجديدة التي زلزلت عروشهم، فتأتى آية التحدي لتبطل هذا الزعم، وتزيل ذلك التشكيك، وترد هذه التهم.

**سابعًا** - كان يتبع آية التحدي إثبات مصدر القرآن وتقرير أنه كلام الله أوحى به إلى عبده ورسوله ﷺ وتهديدهم بالعذاب الشديد.

**ثامنًا** - قال صاحب (المناهل): «كان التحدي في الآيات لإثبات عجز الكفار عن الإتيان بالمطلوب، وإثبات العجز ليس مقصودا لذاته، وإنما هو وسيلة إلى غاية سامية وهي إثبات أن القرآن كلام الله تعالى وأن محمدا رسول الله، وإيمان الكافرين بذلك ودخولهم الإسلام»[1].

---

(١) مناهل العرفان: (٢/ ٢٢٧).

**تاسعًا** - تقرر آيات التحدي عجزهم عن المعارضة، وتقرر لهم هذه النتيجة قبل البدء بالمحاولة من باب الحرب النفسية التي تشنها الآيات عليهم لزعزعة ثقتهم بقدراتهم البيانية، وتقرير هزيمتهم في هذا التحدي، فإما أن يصدقوا بالحقيقة القرآنية ويوقنوا بعجزهم عن المعارضة، وإما أن لا يصدقوا بها فعليهم أن يحاولوا الإتيان بالمطلوب، وإن حاولوا ذلك فسوف يعجزون عنه[1].

(١) إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني: د/ صلاح الخالدي، [ص ٥٧]، دار عمار - عمان، (٢٠٠٠م).



## المطلب الثالث
## من أسرار التشابه والتنوع في آيات التحدي

بادئ ذي بدء يجب أن نعلم أن آيات التحدي الواردة في سور: ﴿ القَصَصِ ﴾، و﴿ الإِسْرَاءِ ﴾، و﴿ يُونُسَ ﴾، و﴿ هُودٍ ﴾، و﴿ الطُّورِ ﴾، و﴿ البَقَرَةِ ﴾ قد اتفقت في المعنى والمضمون، إلا أنه وجد اختلاف وتغاير في اللفظ يقتضيه إعجاز البيان القرآني الحكيم الذي يقرر أن هذه الآيات سلسلة متصلة الفصول، منتظمة المعاني. فمن تتبع توجيه الآيات المتشابهات تجلى له الترابط والوحدة والانسجام بين حروف وكلمات وجمل هذه الآيات، وظهر له وفاء كل حرف وكل كلمة بالمعنى المراد في موضعه من غير احتياج إلى حرف آخر أو كلمة أخرى، فسبحان من هذا منطقه وذاك خطابه.

فإذا ما أجلنا النظر في تلك الآيات نجد أن ثمة اختلافًا لفظيًا بين الآيات المتشابهات؛ لذلك يجدر بنا أن نبين أسرار هذا الاختلاف في الأسلوب وذاك التنوع في التعبير، وأن نزيل هذا الإشكال، وأن نوفق بين ما يوهم ظاهره من التناقض بين آيات التحدي.

**المسألة الأولى** - جاء في سورة ﴿ البَقَرَةِ ﴾: ﴿ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ بزيادة ﴿ مِّن ﴾ وليست كذلك في سورتي: ﴿ يُونُسَ ﴾، و﴿ هُودٍ ﴾، والجواب من وجوه:

**الوجه الأول** - أن ﴿ مِّن ﴾ في قوله: ﴿ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ زائدة[1] بقرينة الآية التي في سورة ﴿ يُونُسَ ﴾ التي بدونها[2].

---

(١) (من) الزائدة هي التي تدخل في موضع لو لم تدخل فيه كان الكلام مستقيمًا، وذلك كقولك: «ما أتاني من رجل»، «ما رأيت من أحد» فلو أخرجت (من)، كان الكلام حسنًا. ينظر: كتاب سيبويه: (٤/ ٢٢٥) ط. دار الكتب العلمية، ط. الثانية (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م)، ودراسات لأسلوب القرآن الكريم لمحمد عبد الخالق عضيمة: (٣/ ٣٩٨)، ط. دار الحديث - القاهرة.

(٢) ينظر: زاد المسير: (١/ ٩٣)، تفسير القرطبي: (١/ ٢٥٠).

قلت: كون ﴿ مِّن ﴾ زائدة في هذا الموضع فيه نظر؛ لأن ﴿ مِّن ﴾الزائدة لها شرطان عند النحويين: الشرط الأول- أن تدخل على نكرة، والشرط الثاني- أن يكون الكلام نفيًا، أو نهيًا، أو استفهامًا[١]. وهذان الشرطان - كما ترى - غير متوفرين في هذه الآية، فالكلام مثبت لا نهي فيه ولا استفهام، وكلمة (مثل) مع أنها نكرة إلا أنها اكتسبت التعريف من إضافتها إلى الهاء.

**والوجه الثاني** - لما كانت هذه السورة سنام القرآن وأوله بعد الفاتحة حسن دخول ﴿ مِّن ﴾فيها؛ ليعلم أن التحدي واقع على جميع سور القرآن من أوله إلى أخره، وغيرها من السور لو دخلها ﴿ مِّن ﴾ لكان التحدي واقعًا على بعض السور دون بعض[٢].

**والوجه الثالث** - ما قاله العلامة البقاعي عند تفسير سورة ﴿ الْبَقَرَة ﴾: وحكمة الإتيان بـ﴿ مِّن ﴾ (التبعيضية)في هذه السورة دون بقية القرآن أنه - سبحانه - لما فرض لهم فيها الريب الذي يلزم منه زعمهم أن يكونوا اطلعوا له على مثيل، أو سمعوا أن أحدا عثر له على شبيه اقتضى الحال الإتيان بها ليفيد أن المطلوب منهم في التحدي قطعة من ذلك المثل الذي ادعوه حكيمة المعاني، متلائمة المباني، منتظم أولها آخرها، كسور المدينة في صحة الانتظام وحسن الالتئام،والإحاطة بالمباني التي هي كالمعاني، سواء أكانت القطعة المأتى بها تبارى آية أم ما فوقها؛ لأن آيات القرآن كسورة يُعرف ابتداؤها من ختامها[٣]، وهذه الأوجه الثلاثة مبنية على أن الهاء في ﴿ مِّن مِّثْلِهِ ﴾ ترجع للقرآن الكريم.

---

(١)ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني لبدر الدين المرادي: [ص ٣١٧]، ط. دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ط. الأولى (١٤١٣هـ - ١٩٩٢م)، ومغني اللبيب لابن هشام: [ص ٤٢٥]، تحقيق: د/ مازن المبارك، ط. دار الفكر العربي، (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م).

(٢) ينظر: البرهان في متشابه القرآن للكرماني: [ص ١٧]، وتفسير البغوي: (١/ ٧٢).

(٣) نظم الدرر: (١/ ٦٣).

والوجه الرابع - وهو مبني على أن الهاء في قوله: ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ الذى في سورة ﴿ٱلْبَقَرَةِ﴾ تعود إلى النبي ﷺ، أما الهاء في ﴿مِّثْلِهِۦ﴾ في: ﴿يُونُسَ﴾، و﴿هُودٍ﴾ فتعود إلى القرآن.

وعلى هـذا.. فالمعنى المقصود في ﴿ٱلْبَقَرَةِ﴾ غير المقصود في ﴿يُونُسَ﴾، و﴿هُودٍ﴾، ولا يحصل المعنى المقصود في ﴿ٱلْبَقَرَةِ﴾ إلا بـ﴿مِّن﴾؛ لأنه لما قال هنا: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾أنه من عند الله فأتوا بسورة من أمي مثله لا يكتب ولا يقرأ، وفي ﴿يُونُسَ﴾ لما قال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ﴾ أي: فأنتم الفصحاء البلغاء فأتوا بسورة مثل القرآن في بلاغته وفصاحته(١).

فالمراد في سورة ﴿ٱلْبَقَرَةِ﴾ إراءتهم ما يرفع شكهم في نبوة محمد ﷺ، فكأنه قد قيل: إن شككتم في نبوته وتخصيصنا إياه بذلك فلتأتوا برجل منكم غيره يصدر عنه، أو يأتي بسورة واحدة من نمط ما سمعتم من محمد ﷺ وأما الوارد في سورة ﴿يُونُسَ﴾ فإنما أريد به ما يجرى مع قوله ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ﴾ فقيل لهم: إذا كان مفترى كما تزعمون فما المانع لكم عن معارضته؟ فأتوا بسورة مماثلة للقرآن(٢).

قال الفخر الرازي عند تفسير آية سورة ﴿يُونُسَ﴾: لم قال في سورة: ﴿ٱلْبَقَرَةِ﴾ ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾، وقال هنا ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾؟ والجواب: أن سيدنا محمدًا ﷺ كان رجلًا أميًا لم يتتلمذ لأحد، ولم يعالج كتابًا، فقال في سورة ﴿ٱلْبَقَرَةِ﴾: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ يعني: فليأت إنسان يساوى محمدًا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في عدم التتلمذ وعدم مطالعة

---

(١) كشف المعاني في المتشابه من المثاني لابن جماعة: [ص٥٥]، تحقيق: عبد الجواد خلف، دار الوفاء.

(٢) ملاك التأويل لابن الزبير: (١/ ١٨٣، ١٨٤)، دار الغرب الإسلامي، تحقيق: سعيد الفلاح، ط. الأولى.



بالبلاغة وحسن الصياغة وقوة المعنى، وفي سورة ﴿ هُودٍ ﴾ أهمل قوة المعنى من هذه الوجوه، وفي سورة ﴿ الإِسْرَاءِ ﴾ البلاغة وحسن النظم وكمال المعنى[١].

**والوجه السابع** - وهو من استنباط الفقير إلى عفو ربه أن التحدي في مراحله الأولى كان العرب أصحاب اللغة والبلاغة هم المخاطبون، أما المرحلة الأخيرة في سورة ﴿ البَقَرَةِ ﴾ فاختلط المسلمون بغيرهم من جميع الأجناس، فجاء التحدي متناسبًا مع ذلك الخليط، فمجيء هذا الحرف ﴿ مِّن ﴾ في هذا الموضع وهو آخر ما نزل من آيات التحدى مزيد تقريع لهم وتوبيخ، كما أن فيه تسجيلًا عليهم بالعجز في معارضة القرآن، وبذلك علم الجواب في سورة ﴿ هُودٍ ﴾ أيضًا، والله أعلم.

**المسألة الثانية** - قال في سورة ﴿ البَقَرَةِ ﴾: ﴿ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾، وكذلك في ﴿ يُونُسَ ﴾: ﴿ بِسُورَةٍ ﴾، أما في آية ﴿ البَقَرَةِ ﴾: ﴿ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ ﴾ فلسائل أن يسأل عن ذلك.. **والجواب من وجوه:**

**الوجه الأول** - أن ما في سورة ﴿ البَقَرَةِ ﴾ تقديره: فأتوا بسورة مثل سورة ﴿ البَقَرَةِ ﴾، وكذا ما في سورة ﴿ يُونُسَ ﴾: بسورة مثل سورة ﴿ يُونُسَ ﴾، فالمضاف محذوف في السورتين، أما ما في سورة ﴿ هُودٍ ﴾ فهو إشارة إلى ما تقدمها من أول ﴿ الفَاتِحَةِ ﴾ إلى سورة ﴿ هُودٍ ﴾ وهو عشر سور، وهذا ما روي عن ابن عباس[٢].

**وأبدى الإمام الرازي شكه في هذه الرواية فقال:** «وهذا فيه إشكال؛ لأن هذه السورة مكية، وبعض السور المتقدمة على هذه السورة مدنية، فكيف يمكن أن يكون المراد من

(١) تفسير أبي السعود: (١/ ٤٦).

(٢) البرهان في متشابه القرآن للكرماني: [ص ٢٣].

هذه العشر سور التي ما نزلت عند هذا الكلام، فالأولى أن يقال التحدي وقع بمطلق السور التي يظهر فيها قوة تركيب الكلام وتأليفه»[١].

وتابعه في الشك أبو حيان فقال: «هذه السور أكثرها مدني، فكيف تصح الحوالة بمكة على ما لم ينزل بعد، ولعل هذا لا يصح عن ابن عباس»[٢].

**الوجه الثاني** - قال في سورة ﴿ هُودٍ ﴾: ﴿ بِعَشْرِ سُوَرٍ ﴾؛ لأنه لما قال فيها: ﴿ مُفْتَرَيَاتٍ ﴾ فوسع عليهم ناسبه التوسعة في العدد المطلوب؛ لأن الكلام المفترى أسهل فناسبته التوسعة، أما الوارد في السورتين قبل فلم يذكر لهم فيهما أن يكون مفترى، بل السابق من الآيتين المماثلة مطلقا، فذلك أشق عليهم مع عجزهم في كل حال، فوقع الطلب حيث التضييق بسورة واحدة، وحيث التوسعة بعشر سور مناسبة جليلة واضحة[٣].

**الوجه الثالث** - أن الله تعالى تحدى الناس أولًا بالقرآن في جملته في آية ﴿ الإِسْرَاءِ ﴾، حيث قال فلما عجزوا تحداهم بعشر سور في آية ﴿ هُودٍ ﴾، فلما عجزوا تحداهم بسورة واحدة في سورة ﴿ يُونُسَ ﴾، وكل ذلك بمكة، ثم تحداهم بذلك أيضًا بالمدينة في سورة ﴿ البَقَرَةِ ﴾، وهو وإن كان آيتا ﴿ الإِسْرَاءِ ﴾ و﴿ هُودٍ ﴾ متأخرتين تلاوة فهما متقدمتان نزولًا، وأنه لا يجوز العكس؛ إذ لا معنى للتحدي بعشر لمن عجز عن التحدي بواحدة، ونظير هذا كمن يتحدى صاحبه بتصنيف فيقول: ائتني بمثله، ائتني بنصفه، ائتني بربعه، ائتني

---

(١) مفاتيح الغيب: (١٧/ ١٩).

(٢) البحر المحيط: (٥/ ٢٠٨).

(٣) ملاك التأويل: (١/ ١٨٤).

بمسألة منه، فإن هذا هو النهاية في التحدي وإزالة العذر وهذا قول جمهور المفسرين[١]، فهم يرون أن سورة ﴿ يُونُس ﴾ وإن نزلت قبل سورة ﴿ هُود ﴾ فلعل التحدي بعشر سور سابق على التحدي بسورة واحدة، ولكنه رتب في المصحف على خلاف النزول، إذ من المعلوم أن ترتيب المصحف ليس على ترتيب النزول لا في السور ولا في الآيات.وإليه مال ابن كثير في (تفسيره)[٢]؛ لأن الحكمة تقتضي أن يكون التحدي بعشر سور أسبق نزولا على التحدي بسورة منه؛ لأن من عجز عن العشر ربما يتوهم أنه قادر على السورة الواحدة؛ لذلك جاء التحدي بالسورة الواحدة فيما بعد ليقطع هذا الوهم، وأما من عجز عن السورة الواحدة فهو عن العشر أعجز، فيبعد أن يتحدى بها فيما بعد.

وهذا يدل دلالة واضحة على أن التحدي بعشر سور يحتم ويستلزم أن يكون سابقًا على التحدي بسورة واحدة لما جرت عليه عادة الناس من أن يبدأ دائما من الصعب، ثم يخفف إلى السهل شيئًا فشيئًا على حسب عجز المتحدى وضعفه.

كما أن مما يؤكد ذلك أيضًا؛ أن آخر تحد إنما ورد في سورة ﴿ البَقَرَة ﴾ وهي مدنية وكان بسورة واحدة، فهذا مؤكد لكون المتحدى به في آخر العهد المكي هو السورة الواحدة كما في سورة ﴿ يُونُس ﴾، غاية الأمر أنه أكد هذا التحدي في المدينة بعد الهجرة ليقرر ويعم كل الناس[٣].

---

(١) ينظر: الكشاف: (٢/ ٧٥)، مفاتيح الغيب: (٦/ ٣٢٥)، البحر المحيط: (٦/ ٥٩)، حاشية الصاوي على الجلالين: (٢/ ٢٣٦)، فتح البيان: (٦/ ٦٤).

(٢) تفسير ابن كثير: (٢/ ٤٢٦).

(٣) إعجاز القرآن الكريم: د/ محمد صادق درويش، [ص ٧٣] بتصرف يسير.

الوجه الرابع - ذهب ابن عطية والمبرد إلى أن التحدي بعشر إنما وقع بعد التحدي بسورة واحدة، وأنكرا تقدم نزول سورة ﴿ هُودٍ ﴾ قبل ﴿ يُونُسَ ﴾، وقالا: بل نزلت سورة ﴿ يُونُسَ ﴾ أولًا، ثم نزلت سورة ﴿ هُودٍ ﴾[١][٢].

ووجه ابن عطية ذلك بأن ما وقع أولا هو التحدي بسورة في البلاغة والاشتمال على ما اشتمل عليه من الأخبار عن المغيبات والأحكام، ولما عجزوا عن ذلك أمرهم بأن يأتوا بعشر سور مثله في النظم، وإن لم تشتمل على ما اشتمل عليه[٣] وهذا هو اتجاه البغوي أيضًا حيث قال: نزلت سورة ﴿ يُونُسَ ﴾ أولًا، ومعنى قوله: ﴿ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ أي: مثله في الخبر عن الغيب والأحكام والوعد والوعيد فعجزوا، فقال لهم في سورة ﴿ هُودٍ ﴾ إن عجزتم عن الإتيان بسورة مثله في الأخبار والأحكام والوعد والوعيد فأتوا بعشر سور مثله من غير خبر ولا وعد ولا وعيد وإنما في مجرد البلاغة[٤].

كما أيد البقاعى هذا الرأي فقال في تفسير آية ﴿ هُودٍ ﴾: مفتريات أي أنكم قد عجزتم عن الإتيان بسورة - أي قطعة واحدة، آية أو آيات - مثله في ما هو عليه من البلاغة والإخبار بالمغيبات والحكم والأحكام الوعد والوعيد والأمثال، وادعيتم مكابرة أنه مفترى، فارغ عن الحكم، فأتوا بعشر سور مثله في مجرد البلاغة غير ملتزمين

(١) المحرر الوجيز: (٣/ ١٥٥).

(٢) الأثر أخرجه ابن الضريس في كتاب فضائل القرآن: [ص ٣٣]، ط. دار الفكر - دمشق - سوريا، باب: (ما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة)، وقال السيوطي في الإتقان: (١/ ٧٣) بعد أن ساق أثرًا مثل هذا تمامًا رواه أبو بكر محمد بن الحارث بن أبيض في جزئه بسنده إلى جابر بن زيد التابعي، قال السيوطي: «هذا سياق غريب وفى هذا الترتيب نظر».

(٣) المحرر الوجيز: (٣/ ١٥٥).

(٤) معالم التنزيل: (٤/ ١٦٥).

بحقائق المعاني وصحة المباني[١] فرأى البقاعي[٢] أن هذا التحدي بالسورة الواحدة سابق لشموله التحدي بالأسلوب والمضمون، فيظهر عجزهم عن سورة واحدة، وأن التحدي بالعشر متأخر؛ لأنه قيد بالمفتريات.

ومما يضعف هذا القول أن الإخبار بالغيب والأحكام ليس عامًا في سور القرآن، وأن الإعجاز في البلاغة والنظم يشمل جميع السور، قال الإمام الآلوسي بعد أن أورد هذا القول وضعفه في (الكشف)[٣] وقال: إنه لا يطرد في كل سورة من سور القرآن[٤].

**والوجه الخامس** - أن التحدى بسورة وقع بعد إقامة البرهان على التوحيد وإبطال الشرك، فتعين أن يكون لإثبات النبوة بإظهار معجزة، وهو السورة الفذة، أما التحدي بعشر سور فوقع بعد تعنتهم واستهزائهم، واقتراحهم آيات غير القرآن لزعمهم أنه مفترى، فمكانه يناسب التكثير؛ لأنه أمر مفترى عندهم، فلا يعسر الإتيان بكثير مثله[٥].

**والوجه السادس** - وإليه ذهب الشيخ رشيد رضا في (تفسير المنار) حيث قال: والظاهر أن التحدي في سورتي ﴿ يُونُسَ ﴾ و﴿ هُودٍ ﴾ خاص ببعض أنواع الإعجاز

---

(١) نظم الدرر: (٩/ ٢٢٥٠).

(٢) وكذا الثعالبي في كتابه الجواهر الحسان: (٢/ ١٩٩) فقال: «وقال بعض الناس: هذه الآية متقدمة على التي في (يونس)؛ إذ لا يصح أن يعجزوا في واحدة ثم يكلفوا عشرا، وقائل هذا القول لم يلحظ ما ذكرناه من الفرق بين التكليفين في كمال المماثلة مرة كما هو في سورة (يونس)، ووقوفها على النظم مرة كما هو هنا».

(٣) أي: الكشف والبيان في تفسير القرآن للثعالبي.

(٤) روح المعاني: (١٢/ ٢١).

(٥) محاسن التأويل: (٩/ ٣٤٢٠).

وهي ما يتعلق بالأخبار كقصص الرسل مع أقوامهم، ولعل وجه التحدي بعشر سور مفتريات دون سورة واحدة هو إرادة نوع خاص من أنواع الإعجاز، وهو الإتيان بالخبر الواحد بأساليب متعددة متساوية في البلاغة...إلخ، ولكن القرآن عبر عن بعض المعاني وبعض القصص بعبارات مختلفة الأسلوب والنظم من مختصر ومطول، والتحدي بمثله لا يظهر في قصة مخترعة مفتراة، بل لابد من التعدد الذى يظهر فيه التعبير عن المعنى الواحد والقصة الواحدة بأساليب مختلفة وتراكيب متعددة، كما نرى في سوره، فتحداهم بعشر سور مثله في هدايتها وبلاغتها وأسلوبها واشتمالها على الحكم والعبر والأسوة المعينة على التربية والتهذيب كما هو شأن القرآن في قصصه، وأما اكتفاؤه في سورة ﴿ يُونُسَ ﴾ بالتحدي بسورة واحدة في مقام الرد على قولهم: افتراه، فلأنه لم يقيده بكونها مفتراة، لا من باب التخفيف عليهم بالواحدة بعد عجزهم عن العشر، فيدخل فيه خبر الغيب والتزام الصدق. فعلم من هذا التفصيل أن التحدي بإعجاز القرآن لذاته في جملته، والتحدي ببعض أنواع إعجازه في عشر سور مثله وبسورة مثله كلاهما ثابت في السور المكية قبل نزول آية ﴿ الْبَقَرَةِ ﴾ وسورتها بعد الهجرة في المدينة المنورة، ولما كان كفار المدينة الذين وجه إليهم الاحتجاج أولا وبالذات هم اليهود، وهم يعدون أخبار الرسل في القرآن غير دالة على علم الغيب تحداهم بسورة من مثل النبي ﷺ في أميته ليشمل ذلك وغيره، مع بقاء التحدي المطلق بسورة واحدة مثله على إطلاقه غير مقيد بكونه من مثل محمد ﷺ(١).

**الوجه السابع** - ولقد رد صاحب الظلال كلام القدامى من المفسرين في ترتيب هذا التحدي وقال: إن هذا يحتاج إلى ما يثبته، وليس في أسباب النزول ما يثبت أن آية ﴿ يُونُسَ ﴾ كانت بعد آية ﴿ هُودٍ ﴾، والترتيب التحكمى في مثل هذا لا يجوز.

---

(١) تفسير المنار: (١/ ١٩٣- ١٩٤).

ثم رد - أيضًا - كلام رشيد رضا، ثم قال: ونحسب - والله أعلم - أن المسألة أيسر من كل هذا التعقيد، وأن التحدي كان يلاحظ حالة القائلين وظروف القول؛ لأن القرآن كان يواجه حالات واقعة محددة، فيقول مرة: ائتوني بمثل هذا القرآن، أو ائتوا بسورة، أو بعشر سور دون ترتيب زمني؛ لأن الغرض كان هو التحدي في ذاته بالنسبة لأي شيء من هذا القرآن، كله أو بعضه أو سورة منه على السواء، فالتحدي كان بنوع هذا القرآن لا بمقداره، والعجز كان عن النوع لا عن المقدار، وعندئذ يستوي الكل والبعض والسورة ولا يلزم ترتيب، إنما هو مقتضى الحالة التي يكون عليها المخاطبون ونوع ما يقولون عن هذا القرآن في هذه الحالة، فهو الذى يجعل من المناسب أن يقول: سورة، أو عشر، أو هذا القرآن، ونحن اليوم لا نملك تحديد الملابسات التي لم يذكرها لنا القرآن[١]. قلت: إنه لا يمنع كون هذا التحدي في نوع هذا القرآن أن يجتمع معه التحدي بالمقدار وعدد السور، فيكون هذا جامعا بين التحدي في إحكام المبنى وترابط الجمل وجمال الأسلوب ووضوح المعنى، والتدرج من الكثرة إلى القلة، حتى يثبت عجزهم بكل وسيلة، ويقطع عليهم الطريق من كل جهة، فلا يرجعون إلى ترداد هذا القول، أو الانتقاص من القرآن لا من جهة نوعه ولا من جهة كَمِّه، والله أعلم.

وأرى أن ليس ثمة من رابط بين هذه الآيات وترتيب نزولها، فكل تحد قائم بنفسه، فرد في موضعه،مناسب لسورته التي ذكر فيها،متسق مع أحوال نزولها وملابساته، وقد ذهب إلى ذلك الشيخ محمد عبده، فقد ذكر جازما أن ليس ثمة من علاقة ولا رابط ولا صلة تجمع بين آيات التحدي، وليس ثمة كذلك من ترتيب زمني يؤلف بينها، وينظمها في سلك واحد فقال: وَإِنَّنِي أَجْزِمُ هُنَا - بَعْدَ التَّأَمُّلِ فِي جَمِيعِ آيَاتِ التَّحَدِّي وَتَارِيخِ نُزُولِ سُوَرِهَا - أَنَّهَا لَمْ يَكُنْ مُرَاعًى بِهَا التَّرْتِيبُ التَّارِيخِيُّ فِي مُخَاطَبَةِ الْمُشْرِكِينَ كَمَا زَعَمَ جُمْهُورُ الْمُفَسِّرِينَ،

(١) في ظلال القرآن: (٤/ ١٨٦١ - ١٨٦٤).

بَلْ ذُكِرَ كُلٌّ مِنْهَا بِمُنَاسَبَةِ سِيَاقِ سُورَتِهِ، فَسُورَةُ ﴿ الطُّورِ ﴾ الَّتِي فِيهَا: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴾ وَهُوَ تَحَدٍّ بِجُمْلَتِهِ، قَدْ نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَتَيْ ﴿ يُونُسَ ﴾، و﴿ هُودٍ ﴾ اللَّتَيْنِ تَحَدَّاهُمْ فِيهَا بِالْعَشْرِ بَعْدَ الْوَاحِدَةِ، وَسُورَةُ ﴿ الإِسْرَاءِ ﴾ نَزَلَتْ قَبْلَهُنَّ، وَفِيهَا ذِكْرُ عَجْزِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ عَنِ الْإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ تَحَدِّيًا، وَكَانَ آخِرَ مَا نَزَلَ فِي التَّحَدِّي آيَةُ سُورَةِ ﴿ الْبَقَرَةِ ﴾ وَهُوَ تَحَدٍّ لِلْمُرْتَابِينَ فِيمَا نَزَّلَهُ اللهُ عَلَى عَبْدِهِ بِأَنْ يَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ؛ إِذْ كَانَ نُزُولُهَا فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ لِلْهِجْرَةِ[1].

**المسألة الثالثة** - أنه تعالى زاد في سورة ﴿ هُودٍ ﴾ وصف السور المقترحة بالمفتريات فقال: ﴿ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ ﴾ فهل لذلك علة؟ والجواب: أنه وصف لهم المطلوب منهم بأن يكون مفترى؛ ليحصل عجزهم بكل جهة، فلا يقدرون على وجود شخص مماثل له ﷺ في ظاهر الصورة الجنسية سمع منه ما يسمع من سيدنا محمد ﷺ ولا يقدرون على مثل سورة واحدة من سور القرآن، ولما كان ظاهر هاتين الآيتين[2] المماثلة مطلقًا قيل بعد ذلك: ائتوا بكلام مفترى على سهولة ما لا يتقيد بسوى الفصاحة، وجاء ذلك من طلبهم بالتدريج، فأولا بالمماثلة من غير ذكر مفترى، ثم قيل لهم: جيئوا بمفترى، فلم يبق لهم عذر إلا العناد[3].

وثمة جواب آخر: وهو أن لفظة ﴿ مُفْتَرَيَٰتٍ ﴾ جاءت في سياق آيات التحدي تنزلًا معهم، وتوسعة عليهم في المجادلة والمعارضة، فجاءت حاكية قولهم لرسول الله ﷺ: «إنك افتريت القرآن واختلقته من عند نفسك، وليس من عند الله»، قاودهم على

(١) تفسير المنار: (١٢/ ٣٨).

(٢) يعني آية (البقرة) (٢٣)، فأتوا بسورة من مثله، وآية (يونس) (٣٨) فأتوا بسورة مثله.

(٣) ملاك التأويل: (١/ ١٨٥).

دعواهم وأرخى معهم العنان» وقال: هبوا أني اختلقته من عند نفسي ولم يوح إلي، وأنّ الأمر كما قلتم، فأتوا أنتم أيضًا بكلام مثله مختلق من عند أنفسكم، فأنتم عرب فصحاء مثلي لا تعجزون عن مثل ما أقدر عليه من الكلام[(١)].

كما أن للفظة ﴿ مُفْتَرَيَٰتٍ ﴾دلالة مهمة في مجال التحدي، فقد جاء هذا الوصف ليدل دلالة واضحة وصريحة على أن القرآن تحداهم بأن يأتوا بمثله في بلاغته فقط، فقد بين هذا الوصف المجال الذى يكون فيه التحدي، والنموذج الذي طلب منهم الإتيان بمثله، وهو الفصاحة دون غيرها من المجالات.

**المسألة الرابعة** - جاء في سور ﴿ البَقَرَةِ ﴾، و﴿ يُونُسَ ﴾، و﴿ هُودٍ ﴾، و﴿ القَصَصِ ﴾ قوله: ﴿ فَأْتُوا ﴾ وفي سورة ﴿ الطُّورِ ﴾، ﴿ البَقَرَةِ ﴾، وفي سورة ﴿ الإِسْرَاءِ ﴾: ﴿ لَا يَأْتُونَ ﴾ فما سر هذا التنوع في التعبير؟ والجواب: إن في هذا التعبير قطع لجميع أعذارهم؛ حيث إن الإتيان بالشيء: إحضاره من مكان آخر، واختير هذا الفعل؛ لقصد الإعذار لهم بأن يقتلع منهم بجلب كلام مثله ولو من أحد غيرهم[(٢)].

وأما عن سر هذا التنوع في الآيات الكريمة فلا شك أن من عادة العرب التفنن في الكلام والتعبير عن الشيء الواحد بألفاظ متعددة، وقد نزل القرآن بلغتهم، وفي إبراز الكلام الواحد في فنون كثيرة وأساليب مختلفة ما لا يخفى من الفصاحة، وهذا وجه من وجوه الإعجاز في الآيات يقوم منه شاهد على الزمن كله وعلى الإنسانية كلها بأنه كلام منزل من عند الله تنقطع دونه أنفاس البلغاء، ولذلك، فإن التعبير القرآني جاء في آية ﴿ الإِسْرَاءِ ﴾ على سبيل التقرير والخبر، وأما الآيات الأخرى فكان التحدي على سبيل الإنشاء والأمر، وفى الخبر من التأكيد والتحقيق ما فيه، والله أعلم.

---

(١) الكشاف: (٢/ ٢٦١).

(٢) التحرير والتنوير: (٢٧/ ٦٦).

**المسألة الخامسة** - اختتمت آية ﴿ الْبَقَرَةِ ﴾ بقوله: ﴿ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ ﴾، بينما اختتمت آيتا ﴿ يُونُسَ ﴾، و﴿ هُودٍ ﴾ بقوله: ﴿ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ ﴾فما الفارق؟، والجواب من وجهين:

**الوجه الأول** - قوله تعالى في سورة ﴿ الْبَقَرَةِ ﴾ وادعوا شهداءكم المراد به من يشهد لكم أن شخصا مثله ﷺ قد سمع منه ما طلب منكم، إذ لا يكتفي في مثل هذا بمجرد دعوى المدعي، فقيل لهم: ائتوا بسورة من شخص مثله في الجنسية، وبمن يشهد لكم بأن قد فعلتم، وقيل لهم في سورة ﴿ يُونُسَ ﴾: فأتوا بسورة مثل القرآن، واستعينوا على ذلك بمن قدرتم، فلم يطالبوا هنا بمن يشهد لهم، وإنما قيل لهم: استعينوا في النظم والتأليف بمن قدرتم؛ لأن سماع ذلك منهم - لو كان ولا سبيل إليه - لا يحتاج معه إلى شهادة شاهد، أما لو ادعوا أن أحدًا سمع منه مثل القرآن لما قنع منهم بمجرد دعواهم، ألا ترى استرواحهم إلى إقناع جهلتهم بما حكى سبحانه عنهم قولهم: ﴿ لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا ﴾، والوارد في ﴿ هُودٍ ﴾ مثل الوارد في ﴿ يُونُسَ ﴾[(١)].

**الوجه الثاني** - أن المراد في سورة ﴿ الْبَقَرَةِ ﴾: ادعوا من يشهد، أي: من يحضر معكم في بلدكم ليساعدكم في الإتيان بقطعة مساوية لبعض هذا القرآن، فلما كان المطلوب بعضًا من مثل القرآن، وليس القرآن كله اكتفى منهم بالاستعانة بكل من شهد أي: حضر معهم في بلدهم[(٢)]، أما المراد في سورة ﴿ يُونُسَ ﴾ كون السورة مثل القرآن كله، ولذلك وسع لهم في الاستعانة بجميع من قدروا عليه ووصلت طاقتهم إليه، ولم يقصرهم على من بحضرتهم فقال: ﴿ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ ﴾، ولهذا قال في سورة ﴿ الْإِسْرَاءِ ﴾: ﴿ وَلَوْ

---

(١) ملاك التأويل: (١/ ١٨٥- ١٨٦).

(٢) هذا الكلام بناءً على أن الضمير في قوله: (من مثله) للقرآن الكريم كما سبق في أحد الوجوه، ولقد رجحناه فيما سبق.

كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[١]، ولما زاد في ﴿ هُودٍ ﴾ السور المطلوبة وهي عشر سور زاد المدعوين أيضًا فقال: ﴿ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[٢].

**المسألة السادسة** - الناظر في آيات التحدي كلها يجد أنها ختمت بقوله: ﴿ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ ما عدا آية سورة ﴿ الإِسْرَاءِ ﴾، فما السر في ذلك؟، والجواب: إن في ذلك إشارة إلى موقفهم الضعيف الهزيل تجاه القرآن، فغاية ما يصلون إليه هو الشك والارتياب فيه، ومن هنا جاءت هذه الأداة ( إن ) دالة على هذا المعنى، كما أن في حذف متعلق﴿ صَٰدِقِينَ ﴾ دليلًا على تعدد مواقفهم واضطرابها نحو القرآن، فليس لهم موقف واحد أو رأي متحد نحو القرآن، فهم مختلفون فيه ولا يزالون مختلفين، بل تحركهم أهواؤهم وعقولهم المنحرفة، ولا يخفى ما في لفظة ﴿ صَٰدِقِينَ ﴾ من تعريض بكذبهم ومجانبتهم الصدق في هذا الأمر العظيم.

**المسألة السابعة** - ما السر في جمع الخطاب في آية سورة ﴿ هُودٍ ﴾، فإن لم يستجيبوا لكم وإفراده في ﴿ هُودٍ ﴾،﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ ﴾؟، والجواب: أن ما في سورة ﴿ هُودٍ ﴾ خطاب للكفار، والفعل لـ﴿ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم ﴾وهذا آخر ما وفقني الله تعالى إليه من جمع واسكناه بعض الحقائق الإعجازية في أمثال هذه الآيات (آيات التحدي)، ولاشك أن هذا غيض من فيض، وقطرة من بحر لجي، لو كان له مداد من أبحر وأبحر ما نفدت كلمات الله؛ لأنه تنزيل من حكيم حميد.

---

(١) (الإسراء ٨٨)، ولقد اقتبست هذا الجواب من كلام الكرماني: [ص ١١١]، والبقاعي: (٣/ ٤٤٤).

(٢) ينظر: برهان الكرماني: [ص ١١١].



## خاتمة البحث

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام علي من بعثه الله رحمة للعالمين وإمامًا للمتقين، وسيدًا للأولين والآخرين، وهاديًا للناس أجمعين، سيدنا محمد وآله وصحبه، والتابعين بإحسان إلى يوم الدين.

**وبعد...**

فهذا غيض من فيض، وقليل من كثير مما يستحقه هذا الموضوع (**دلائل إعجاز القرآن في آيات التحدي بالقرآن**) بذلت فيه قصارى جهدي حتى خرج على هذه الصورة، فإن كنت أحسنت فمن الله الإحسان، وإن كانت الأخرى فمن نفسي الضعيفة، وحسبي شرف المحاولة، وعلى الله قصد السبيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

**ولقد تمخض هذا البحث عن نتائج عدة من أهمها:**

**أولًا** - إثبات عظمة القرآن الكريم، وفخامة شأنه، وعلو قدره، وبيان إعجازه، وأنه حجة على سامعه، وقد تحدى القرآن أفصح الفصحاء فعجزوا عن الإتيان بمثله، والتحدي به قائم ومستمر إلى يوم القيامة.

**ثانيًا** - تظهر الحاجة إلى التحدي لكون التحدي دليلا على صدق الرسول الذي جاء بالمعجزة، وفي التحدي بالقرآن تثبيت لفؤاده ﷺ، وفيه إقامة الحجة وإظهار البرهان على صدق القرآن، وأنه منزل من لدن حكيم عليم.

**ثالثًا** - جمهور العلماء على أن التحدي وقع بألفاظ القرآن المتلوة، لا كما قال بعض الأشاعرة أنه وقع بالكلام القديم القائم بالذات، وقد رددنا ذلك بالأدلة في ثنايا البحث.

**رابعًا** - أن التحدي يقع بكل سورة بكمالها، فنصوص القرآن حددت (سورة) في أقل مراحل التحدي، فيجب أن نقف عند النص ولا نتجاوزه، ولا يفهم أن آية الدين أو الكرسي غير معجزة، فالمعجز ما عجز عنه أهل الفصاحة والبيان، ولو كان كآية الكرسي؛ لكن الذي وقع به التحدي سورة من القرآن.

**خامسًا** - الذي عليه جمهور العلماء والحذاق، وهو الصحيح في نفسه أن التحدي وقع في نظم القرآن، وما يتصل به من الفصاحة والبيان دون غيره من وجوه الإعجاز الأخرى التي تتعلق بالإعجاز الغيبي والتشريعي والعلمي.

**سادسًا** - أن التحدي كان مرحليًا متدرجًا في قول جمهور العلماء، فوقع بالقرآن أولا ثم بعشر سور منه، ثم بسورة، والمختار أنه ليس ثمة من رابط بين هذه الآيات وترتيب نزولها، فكل تحد قائم بنفسه، فردٌ في موضعه، مناسب لسورته التي ذكر فيها، متسق مع أحوال نزولها وملابساته، والله أعلم.

**سابعًا** - تعددت مظاهر التنوع في الأساليب المتشابهة والمواقف المتقاربة، وقد وقفنا في دراستنا لهذا الجانب على أسرار دقيقة في النظم القرآني تقرر ما ذكره العلماء من أن لكل كلمة فيه موقعًا خاصًا تتلاءم معه، وتتلاءم معها، ووفاء كل حرف وكل كلمة بالمعنى المراد في الموضع الذي ذكر فيه من غير احتياج إلي حرف آخر أو كلمة أخرى، وليس بينها كلمة أو حرف زائد لا فائدة منه، بل كل حرف فيه إنما جاء لغرض يقتضيه المعنى المراد، وموجب يوجبه السباق واللحاق.

**ثامنًا** - أن من أقدس الواجبات وآكدها على من وقف حياته على دعوة الناس وإرشادهم إلى الحنيفية السمحة أن يقارع خصوم الإسلام بالحجة الدامغة، وأن يدحض شبه أولئك الجاحدين الذين يفترون الكذب على النبي وعلى القرآن، لا يريدون بذلك إلا قصد التضليل، وهذا ما لمسناه في آيات التحدي.

❁ وفي ختام هذا البحث أتضرع إلى الله جل شأنه، داعيًا إياه بما دعا به إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[البَقَرَة: ١٢٧].

❁ ﴿ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾[إبراهيم: ٤١].

**«وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين»**

**وصلى اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه والتابعين**



## المراجع والمصادر

***أولًا - كتب التفسير وعلوم القرآن:***

١ - (الإتقان في علوم القرآن): للإمام السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار التراث- القاهرة.

٢- (أحكام القرآن): للجصاص، دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان

٣ - (إرشاد العقل السليم إلي مزايا القرآن الكريم): للعلامة أبي السعود، دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان.

٤ - (إظهار الحق): لرحمة الله الهندي: ط. دار الحرمين - القاهرة - ط. ثانية (١٤٠٣هـ).

٥ - (إعجاز القرآن الكريم): د/ محمد صادق درويش، ص ٦٣، دار الإصلاح - دمشق.

٦ - (إعجاز القرآن): للباقلاني، دار المعارف - القاهرة - تحقيق: السيد صقر.

٧ - (إعجاز القرآن والبلاغة النبوية): لمصطفى صادق الرافعي، المكتبة التجارية، ط. الرابعة (١٩٤٠م).

٨ - (إعراب القرآن): للنحاس، عالم الكتب - بيروت، ط. ثالثة، (١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م).

٩ - (أنوار التنزيل): للإمام البيضاوي، نشر: مؤسسة البعثة - بيروت - لبنان، ط. الأولى (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).

١٠- (أهداف كل سورة ومقاصدها): د/ عبد الله شحاتة - الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط. ٢ (١٩٨١م).

١١ - (البحر المحيط): لأبي حيان، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ط. الثانية.

١٢ - (البرهان في توجيه متشابه القرآن): لمحمود بن حمزة الكرماني، دار الاعتصام.

١٣ - (البرهان في علوم القرآن): للإمام الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية - صيدا - بيروت.

١٤- (التبيان في علوم القرآن): لمحمد على الصابوني، دار الصابوني، القاهرة، ط.٢، (٢٠٠٣م).

١٥ - (التحرير والتنوير): لابن عاشور، الدار التونسية للنشر.

١٦ - (التصوير الفني في القرآن): لسيد قطب، دار المعارف، ط.السادسة (١٩٧٥م).

١٧ - (تفسير القرآن العظيم): لابن كثير، المكتبة التوفيقية - القاهرة.

١٨ - (تفسير المنار): لمحمد رشيد رضا، دار المعرفة - بيروت - لبنان.

١٩ - (جامع البيان عن تأويل آي القرآن): للإمام الطبري، دار المعرفة - بيروت.

٢٠ - (الجامع لأحكام القرآن): للإمام القرطبي، دار الحديث، ط.الأولي (١٤١٤هـ).

٢١ - (الجواهر الحسان): للثعالبي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

٢٢ - (الدر المنثور): للإمام السيوطي، دار المعرفة - بيروت - لبنان.

٢٣ - (حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي): دار الكتب العلمية - بيروت، ط.الأولى (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).

٢٤- (خصائص القرآن المكي): د/ فهد الرومي، مكتبة الرياض، ط.العاشرة (١٤٢١هـ).

٢٥ - (روح المعاني): للإمام الآلوسي، دار الفكر، (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).

٢٦ - (زاد المسير): لابن الجوزي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط.الأولي (١٤١٤هـ).

٢٧ - (السراج المنير): للخطيب الشربيني، دار المعرفة - بيروت، ط.الثانية.

٢٨ - (علوم القرآن): لعدنان زرزور، المكتب الإسلامي - بيروت، ط.٣، (١٤١٢هـ).

٢٩ - (غرائب القرآن ور غائب الفرقان): للنيسابوري، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط.أولى (١٩٦٨م).

٣٠- (غرائب آي التنزيل): لمحمد بن أبي بكر الرازي، ط. عالم الكتب السعودية، ط.١ (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م).

٣١ - (فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن): لزكريا الأنصاري، تحقيق: محمد علي الصابوني، مكتبة الصابوني.

٣٢ - (فتح القدير): للشوكاني، عالم المعرفة، بدون تاريخ.

٣٣ - (الفتوحات الإلهية): للعلامة الجمل، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى الحلبي.

٣٤ - (الفوائد المشوق إلى علوم القرآن): لابن القيم، دار الكتب العلمية - بيروت، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).

٣٥- (في ظلال القرآن): لسيد قطب، دار الشروق، ط. ١٣(١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).

٣٦ - (القرآن يتحدى): لأحمد عز الدين خلف الله، مطبعة السعادة - القاهرة (١٣٩٧هـ).

٣٧ - (كشف المعاني في المتشابه من المثاني): لبدر الدين بن جماعة، ت. عبد الجواد خلف، دار الوفاء المنصورة، ط.الأولى (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م).

٣٨ - (الكشاف): للعلامة الزمخشري، دار المعرفة - بيروت - لبنان.

٣٩ - (لباب التأويل): للخازن، ط.الحلبي، ط.الثالثة (١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م).

٤٠- (مباحث في إعجاز القرآن): د/ مصطفى مسلم، دار القلم - مشق (١٤٢٥هـ).

٤١ - (مباحث في علوم القرآن): لمناع القطان، الدار السعودية للنشر.

٤٢ - (مجمع البيان) للطبرسي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت - لبنان.

٤٣ - (المحرر الوجيز): لابن عطية، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ط.الأولي (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م).

٤٤ - (محاسن التأويل): للقاسمي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى الحلبي.

٤٥ - (مداخل إعجاز القرآن): للأستاذ محمود شاكر، نشر: مطبعة المدني المؤسسة السعودية - مصر.

٤٦ - (مدارك التنزيل وحقائق التأويل): للنسفي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي - مصر.

٤٧ - (معالم التنزيل): للبغوي، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ط.الأولى (١٤١٤هـ).

٤٨ - (معاني القرآن): للزجاج، عالم الكتب - بيروت، ط.الأولى (١٤٠٨هـ).

٤٩ - (معاني القرآن): للفراء، عالم الكتب - بيروت، ط.الثانية.

٥٠ - (المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة): لأحمد عمر أبو شوفة، دار الكتب الوطنية - ليبيا، (٢٠٠٣م).

٥١ - (ملاك التأويل): لابن الزبير، دار الغرب الإسلامي، ط.الأولى، (١٩٨٣م).

٥٢ - (مفاتيح الغيب): للإمام الرازي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط.الأولى.

٥٣ - (مناهل العرفان): للزرقاني، دار الفكر - بيروت، ط.الأولى (١٤١٦هـ - ١٩٩٦م).

٥٤- (النبأ العظيم): د/ محمد عبد الله دراز، ط. دار المرابطين - الإسكندرية، ط.١.

٥٥ - (نظم الدرر): للبقاعي، دار الكتاب الإسلامي - القاهرة.

**ثانيًا - كتب اللغة والأدب:**

١ - (دلائل الإعجاز): لعبد القاهر الجرجاني، مطبعة المدني - القاهرة، الثالثة، (١٩٩٢م).

٢- (الجني الداني في حروف المعاني): لبدر الدين المرادي، ط.دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ط.الأولى، (١٤١٣هـ - ١٩٩٢م).

٣- (دراسات لأسلوب القرآن الكريم): لمحمد عبد الخالق عضيمة، ط. دار الحديث.

٤ - (الكتاب): لسيبويه، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ط.ثانية، (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م).

٥ - (لسان العرب): لابن منظور، دار صادر- بيروت، ط.١ (١٩٩٠م).

٦- (المعجم الوسيط): مجمع اللغة العربية، إبراهيم أنيس وشركاؤه، الثانية (١٩٧٢م).
٧- (معجم اللغة العربية المعاصرة): لأحمد مختار، عبد الحميد عمر، عالم الكتب، ط.الأولى، (٢٠٠٠م).
٨- (معجم مقاييس اللغة): لابن فارس، دار الجيل - بيروت.
٩- (مغني اللبيب): لابن هشام، تحقيق: د/ مازن المبارك، ط. دار الفكر العربي، (١٤١٢هـ).

**ثالثًا - كتب العقيدة:**

١- (إثبات نبوة النبي ﷺ): لأحمد بن الحسين الهاروني، المكتبة العلمية - بيروت.
٢- (إظهار الحق): لرحمة الله الهندي، ط. دار الحرمين، القاهرة، ط.٢، (١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م).
٣- (أعلام النبوة): لأبي الحسن الماوردي، دار الكتاب العربي- بيروت، ط.١ (١٩٨٧م).
٤- (حجج النبوة) ضمن رسائل الجاحظ، ت: محمد عيون السود، دار الكتب العلمية - بيروت، ط.١، (٢٠٠٥م).
٥- (الغنية في أصول الدين): لعبد الرحمن بن محمد أبو سعيد، ت: عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الخدمات والأبحاث - بيروت، ط.١، (١٩٨٧م).
٦- (الفصل في الملل والأهواء والنحل): لابن حزم، شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع، ط.١، (١٤٠١هـ).
٩- (المغني في أبواب التوحيد والعدل): لعبد الجبار أحمد الأسد آبادي، مطبعة دار الكتب، ط.١، (١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م).
١٠- (المواقف): لعضد الدين الأيجي، مكتبة المتنبي - القاهرة.

